مكتبة
الدراسات الفلسفية

أفلاطون

المأدبة
فلسفة الحبّ

المأدبة

فلسفة الحبّ

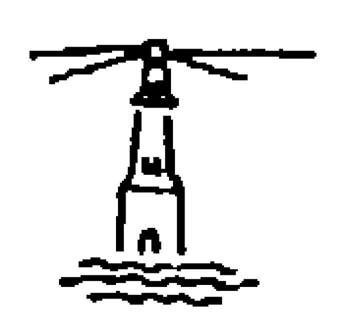
مكتبة
الدراسات الفلسفية

أفلاطون

المأدبة
فلسفة الحبّ

ترجمة

دكتور وليم الميرى



دار المعارف بمصر

الناشر : دار المعارف بمصر — ١١١٩ كورنيش النيل — القاهرة ج.ع.م.



(أفلاطون)

تصدير

هذه هى المأدبة ، محاورة أفلاطون الخالدة التى أودع فيها خلاصة مذهبه فى الحب . ولقد رأيت أن أنقلها إلى قراء العربية حتى يحظوا بمتعة الاطلاع على هذه التحفة الرائعة من تحف أفلاطون .

وللمأدبة أكثر من ترجمة فى أكثر من لغة أجنبية ، وقد قمت بترجمتها عن الإنجليزية ولها فيها أكثر من أربع ترجمات اعتمدت على ثلاث منها ، هى : ترجمة (W. HAMILTON) (وهى أحدث ترجمة بالإنجليزية) ، وترجمة الشاعر شيلى (SHELLY) وترجمة « جويت » (JOWETT) ولم أكتف بالترجمة الإنجليزية ، بل قابلت ترجمتى على الترجمة الفرنسية التى قام بها « روبن » (ROBIN) .

أما المقدمة فهى بقلم هاملتون ، وقد نقلتها مع شىء من التصرف ، وآثرت أن أحتفظ بمقدمة هاملتون لأنها تعد مدخلاً للمحاورة تعين القارئ على فهمها .

ووضعت التعليقات فى آخر الكتاب ، ليرجع إليها من يريد الرجوع لاستيضاح الأسماء والنقاط المرقومة .

مقدمة

المأدبة هى المحاورة الأفلاطونية التى تشتمل على أفانين شتى من الفن والأدب والفلسفة ، وهى — مع ذلك — أقل المحاورات صعوبة من الناحية الفلسفية . فأفلاطون الفيلسوف لم يتغلب فيها على أفلاطون الشاعر ، وموضوعها موضوع هام وضع فى إطار أخاذ من الحياة الاجتماعية لأثينا ، مع تصوير رائع لشخصية سقراط وشخصيات من شاركوه فى الحوار ، ومنهم أسماء بارزة فى عالم الشعر والأدب كأرستو فانز وأجاثون ، وفى عالم السياسة كالقبيادس ، وقد مزجت هذه العناصر مزجاً فنياً رائعاً . بحيث إن تحليلها يفقدها طلاوتها وسحرها ، ولكن لا بد من تحليلها حتى يمكن فهمها وتتضح عناصرها .

وضع أفلاطون محاورته هذه حوالى سنة ٣٨٥ ق . م ، أما المأدبة التى تصفها فكانت سنة ٤١٦ ق . م ولا يشك أحد فى أن الأحاديث التى دارت فى المأدبة هى من تأليف أفلاطون ، ولكنه يخلع عليها طابع الواقع . ويروى المأدبة شخصان : صديق لم يذكر اسمه ، وأبولدرس ، ويرويها أبولودرس عن أرستديموس وهو من تلاميذ سقراط الملازمين له ، ويلاحظ أن سقراط لم يكن راوية للمأدبة على نحو ما اتبعه أفلاطون فى غيرها من المحاورات . ولكن أبولودرس يلجأ إلى سقراط ليسأله عن رواية أرستديموس ، فيعززها له . وهدف أفلاطون من هذا أن يجعل المحاورة تبدو قريبة من الواقع ، كأنها حدث تاريخى ، خاصة وأن أشخاصها ورواتها أشخاص تاريخيون لا يشك أحد فى وجودهم ، وأن ما وقع فى المأدبة ليس بغريب وقوعه بين أفراد الطبقة الراقية فى أثينا سنة ٤١٦ ق . م .

ويحسن أن نقدم بين يدى القارئ مجملاً للمحاورة ، يعينه على فهمها . يلتقى أرستديموس بسقراط وهو فى طريقه إلى المأدبة ، التى دعا إليها أجاثون

بمناسبة فوزه فى مسابقة الدراما . ويصحب أرستديموس سقراط إلى المأدبة . وبعد تناول الطعام يقترح اريكسماخوس أن يستبدلوا بعزف العازفة الحديث ، فيتحدث كل من الحاضرين عن الحب . ويقبل الحاضرون اقتراحه ، ويبدأ فيدرس — وهو مقترح الموضوع — ويتلوه بوزنياس ، وهو شاعر شديد التعلق بأجاثون ، ثم اريكسماخوس ثم أرستوفانز الشاعر الكوميدى العظيم ، ويتلوه أجاثون ، وأخيراً سقراط ، وكان يفصل بين كل حديث وحديث فترة من النقاش والعبث . وعند نهاية حديث سقراط تسمع جلبة فى الخارج ، ويدخل القبيادس ومعه جماعة من السكارى فيرحب به الحاضرون ترحيباً حاراً ، ويطلبون إليه أن يشارك فى الحديث فيقول إنه لا يستطيع التكلم إلا فى مدح سقراط ، ثم يأخذ فى وصف شخصية سقراط ويتحدث عن علاقته به . وما إن يختم القبيادس حديثه ، حتى يدخل جماعة من السمار يحدثون هرجاً شديداً فيختل النظام وينصرف القوم إلى شرب الخمر ، فيسرفون فى ذلك ويغادر البعض المكان ، وينام البعض الآخر . وينام أرستديموس الراوية ، ويستيقظ عند الفجر فيجد أجاثون وأرستوفانز وسقراط يتبادلون الحديث ، ويشربون الخمر ، وبعد فترة وجيزة ينام أرستوفانز ، ثم أجاثون ، ويغادر سقراط المنزل صاحياً لم ينل منه الخمر ولا السهر .

* * *

إن المحور الذى تدور حوله المحاورة هو حديث سقراط ، وقصد بالأحاديث الأخرى أن تتناول ناحية من نواحى مذهب سقراط فى الحب ، وإن جاء كل حديث مطبوعاً بطابع صاحبه معبراً عن شخصيته أدق تعبير ، وهذا من عمل أفلاطون الفنان . وقبل أن نمضى فى الكلام عن نظرية أفلاطون فى الحب وصلته بمذهبه الفلسفى العام ، يجدر أن نشير إلى حقيقة تتنافى مع أخلاق عصرنا تمام المنافاة وتوشك أن تقضى على قيمة المحاورة وتفسد روعتها . فالحب الذى تتحدث عنه المحاورة هو حب الذكر للذكر ، أو ما يسمى بالجنسية

المثلية . فهذا الصنف من الحب عند المتحاورين هو الذى يحقق غايات الإنسان السامية ، وإذا ذكر الحب المألوف : حب الذكر للأنثى ، فإنما يذكر للحط من شأنه بحسبانه نزوة جسدية خالصة غايته إنجاب الأطفال وحفظ الجنس . ونحن إذ نقرأ المأدبة ينبغى أن نضع جانباً آراءنا الشخصية ونقبل موضوع المحاورة على أنه حقيقة تاريخية إذا كنا نريد أن نفهم هذا الجزء المهم من فلسفة أفلاطون وهذا الجانب من شخصية سقراط .

ونحاول أن نجد تعليلا لهذه الظاهرة التى برزت فى المأدبة ، وهى ظاهرة الجنسية المثلية ، فنقول إن من المتفق عليه أن المرأة لم تلعب فى الحياة العامة دوراً ما سواء فى أثينا أو فى غيرها من مدن اليونان باستثناء أسباسيا عشيقة برقلس . وانزوت المرأة اليونانية فى البيت تقوم بشئونه ، بينما كان الرجل يقضى معظم وقته خارج البيت ، ومن هنا لم تشارك المرأة الرجل مشاركة كاملة على نحو ما يحدث فى مجتمعنا الحديث ، وكان الزواج يتم غالباً بالاتفاق بين الوالدين ، لأن الاختلاط بين الفتية والفتيات لم يكن ميسوراً ؛ فلم يكن للحب الرومانتيكى وجود إذن عند اليونان . ولكن لا يمكن الجزم أن هذا كان الشأن بين الرجل والمرأة فى ذلك العصر ، أو يفسر العلاقات الجنسية الشاذة التى شاعت بين اليونانيين ، فإن الدور الذى تلعبه المرأة فى التراجيديا اليونانية لا يدل على أنها كانت تحيا فى عزلة تامة عن المجتمع ، أو كانت تنزل منزلة مهينة . ولعل الذى يجعلنا نبالغ فى تصوير النزعات الجنسية الشاذة أنها كانت تمارس فى حرية ، ويشار إليها فى صراحة ، وأياً ما كان الأمر فهذا ما كان شائعاً خاصة فى الطبقة الراقية من المجتمع الأثينى ولم يكن أحد ينكره . وكان غريباً على العقل اليونانى اعتبار الزواج مشاركة بين الرجل والمرأة فى شئون الحياة جميعها ، فأفلاطون — نفسه — الذى سمح للمرأة أن تنال فى جمهوريته ما ينال الرجل من التربية وأن تشاركه أعباء الحكم ، إن نقول إن أفلاطون نفسه يحرم على الرجال والنساء أن يرتبطوا بأية رابطة غير الرابطة الجنسية المؤقتة لإنجاب الأطفال . ونجد أفلاطون كذلك ؛

يحرم فى « الجمهورية » و « النواميس » العلاقات الشاذة بين الذكر والذكر ، ويعتبرها أمراً شاذاً منافياً للطبيعة ، ولعل مرجع هذا إلى كراهيته للعلاقات الجنسية إطلاقاً على أى شكل من أشكالها ، وهو الذى يرى أن الحب بين الرجل والرجل هو وحده الكفيل بقيام مشاركة بينهما طول الحياة ، وأن هذا الحب هو تزاوج عقلين راقيين برئ من أية نزعة حسية دنيئة . وتتناول الأحاديث الأولى فى المأبة وصف مراتب هذا الحب ، وهو يرتقى مرتبة بعد مرتبة حتى يبلغ الغاية ، ويتغلب على كل نزعة حسية جنسية ويصبح حباً عقلياً سامياً فى حديث سقراط .

* * *

يقتصر فيدرس وبوزنياس على معاجلة الحب بمعناه البسيط الواضح ، وطبيعة الحب عند فيدرس لا تثير إشكالاً مّا ، فهو أقدم الآلهة وأفضلها ، وهو الذى يثير فى الإنسان الإحساس بالشرف ، فالمحب يحرص على ألا يصدر منه فعل مشين فى حضرة حبيبه ، والحب هو الذى ينمى فى الإنسان روح التضحية والإيثار . ويسوق فيدرس الأمثلة من التاريخ ومن الأساطير ليدلل على ما يقول . ويجىء حديث بوزنياس أروع أسلوباً وأقوم منهجاً ، ويفرق بين صنفين من الحب : حب نبيل وحب دنىء . وهو بهذه التفرقة يمهد لحديث سقراط ، والحب الدنىء لا يهدف إلا إلى إشباع النزعات الجنسية بالنساء والغلمان ، وهو حب واجب المنع حرى بالتحريم ، أما الحب النبيل فإنما يتجه إلى الشبان وهدفه إنماء صداقة باقية ، وتعاون مثمر ، ويحلل بوزنياس على ضوء هذه التفرقة موقف الشعوب المختلفة من اللواط ، ويفسر موقف الرأى العام الأثينى الذى لا يستقر على حال ، ولا يعنى كلام بوزنياس أن الحب النبيل يتجنب الاتصال الجنسى ، فهو يدافع عن حرية العلاقات الجنسية الشاذة ، ويسوق الحجج لتأييدها وإن كانت حججه تقوم على مغالطة مكشوفة ، ومبدؤه أن الأفعال ليست قبيحة أو حسنة فى ذاتها ، ولكنها تصير حسنة أو قبيحة وفقاً لظروفها ودوافعها ، وهذه مغالطة مكشوفة فضلا عن أنها مجافية لأفكار أفلاطون الأساسية .

وكان على أرستوفانز أن يعقب بوزنياس ، ولكن عائقاً يعوقه فيأخذ أريكسماخوس الطبيب دوره . وتصف المحاورة أريكسماخوس هذا بالحذلقة والتزمت ، والحديث الذى وضعه أفلاطون على لسانه يمثله خير تمثيل . فهو يتكلم بأسلوب العالم أو بأسلوب الحرفة التى يحترفها . ونجد أن فكرته الأساسية هى التفرقة بين الحب النبيل والحب الدنىء وهى فكرة استعارها من بوزنياس ، ويجعل من هذه التفرقة مبدءاً عاماً ، لا ينطبق فى ميدان النفس البشرية وحسب ، ولكن ينطبق فى ميادين مختلفة كالطب والموسيقى والفلك والعرافة . رجاء تحليله تعسفياً مبتسراً ، فهو مستعد لإخضاع أية ظاهرة لمبدئه بطريقة تعسفية .

ولقد جاء حديث أريكسماخوس واهناً مهلهلا ، وأريد له ذلك لأنه جاء بين حديثين هامين : حديث بوزنياس وحديث أرستوفانز إلا أنه أضاف بحديثه شيئاً جديداً إلى النظرية الأساسية بقوله إن الحب مبدأ كونى يعمل فى الكون كله ، وهو بذلك يخرج الحب عن العالم الحسى الضيق إلى العالم الذى يصفه سقراط .

ويأتى حديث أرستوفانز الشاعر الهزلى من أروع أعمال أفلاطون الأدبية ويستهل أرستوفانز حديثه بقصة خيالية فكاهية عن المخلوقات البشرية الأولى وتمردها على الآلهة ، وهى قصة تذكرنا بمسرحية أرستوفانز « الطيور » ، ويقول إن الناس الآن إن هم إلا أنصاف مخلوقات قديمة ، مخلوق أنثى ، ومخلوق ذكر ، ومخلوق خنثى . وقد شطر زيوس الإلـــه الأكبر كل مخلوق شطرين عقاباً لها ، فالحب هو الرغبة فى الاكتمال ، فالإنسان يريد أن يستعيد سعادته بالاتحاد بنصفه الآخر . ويقول إن الميل الجنسى فى الفرد يخضع للجنس الأصلى الذى انشطر عنه ، ومما تجدر ملاحظته أن أرستوفانز يسير فى نفس الاتجاه الذى سار فيه من سبقوه إلى تفضيل الحب الشاذ ؛ ولذلك فهو يصف فضلاء عصره باعتبارهم أنصافاً الذكر كامل ، وهم بالتالى يمارسون الجنسية المثلية .

يقول أرستوفانز عن نفسه إنه مسل لا أكثر ولا أقل ، ولكن حديثه المرح ينطوى على معنى عميق ويخفى حقيقة هامة ، وهى أن الحب رغبة لا يكفى إشباعها إشباعاً حسياً ، فعلى سقراط أن يبحث فى طبيعة هذه الرغبة ، والحب — عند أرستوفانز أيضاً — شوق إلى استعادة السعادة المفقودة ، وهذا من صفات الحب الأفلاطونى فى أسمى صوره ، فالحب الأفلاطونى هو معاينة الجمال المطلق الذى كانت تعانيه الروح قبل اتصالها بالجسد المادى .

ويعقب حديث أرستوفانز حديث أجاثون الشاعر البليغ المعجب بنفسه أشد الإعجاب ، وحديثه قطعة بلاغية صيغت وفق الأصول البلاغية التى وصفها أساتذة البيان اليونانى ، وتعنى بهم السفطائيين . ولقد أراد أفلاطون الفنان المبدع أن يقابل حديث أجاثون بحديثى أرستوفانز وسقراط ، فحديث أرستوفانز الشاعر الساخر يقدمه صاحبه فى لغة بسيطة خالية من زخرف اللفظ ووشى البيان إلا أنه ينبض بالعاطفة الصادقة والشعور القوى . ولكن حديث أجاثون الشاعر التراجيدى جاء سطحياً ضحلاً ، بالرغم من صنعته البلاغية وإلقائه الشاعرى ، فضلا عن اشتماله على كثير من المغالطات . وحديث أجاثون قصد به أيضاً التقابل بين البلاغة والفلسفة ، فالبلاغة تستميل الإنسان عن طريق الأذن ، وتجعل الموضوع أساساً تقيم عليه بناءً مصطنعاً من الألفاظ والموسيقى ، بينما تعمل الفلسفة على الوصول إلى الحقيقة من غير احتفال بلفظ أو موسيقى ، وأجاثون فى حديثه يخلع على الحب أجمل الصفات ويخصه بالفضائل ، وينهى حديثه بعبارات أخاذة تبهر أنفاس سقراط . وبالرغم من تفاهة حديثه فقد أذن له أفلاطون أن يضيف حقيقة جديدة وهى أن غاية الحب هى الجمال . وفيما عدا هذا فحديثه سلبى ، وقصد له ذلك حتى يمهد لمنهج سقراط الديالكتيكى فسيستخلص منه بعض النتائج الأولية .

ولما يأت دور سقراط يبدأ بمناقشة أجاثون فيما قاله عن الحب مستخدماً معه منهجه الجدلى (الديالكتيكى) فيلجئه إلى الإقرار بعجزه وخطأ آرائه ، ويصل معه إلى إثبات النقاط التالية :

١ ـ إن الحب اسم إضافة مثل الأب والأم ويتطلب موضوعاً محبوباً .
٢ ـ إن الحب يريد محبوبه .
٣ ـ إنه لا يريد ما يملك فعلا .
٤ ـ ما دام غاية الحب الجمال فلا يمكن أن يكون الحب جميلاً ولا خيراً لأن الجمال هو الخير والشيء المتفق عليه أن الحب هو الشعور بالرغبة في شيء لم يكتسبه بعد ، وقد ورد شيء من هذا القبيل في كلام أرستوفانز .

بعد هذا يسوق سقراط حديثه عن الحب على صورة حوار دار بينه وبين ديوتيما وهي شخصية خرافية . وليست المأدبة هي المحاورة الوحيدة التي يعزو فيها سقراط ما يقول إلى الغير خاصة وهو يعالج موضوعاً كالحب أو موضوعاً كالروح ومصيرها ، فهما من الموضوعات التي يصعب فيها الوصول إلى حقائق يقينية بالمنهج الديالكتيكي وحده . ويتأثر أفلاطون في معالجة هذه الموضوعات بالأسرار التي كانت سائدة في زمانه . ولعل السبب الذي من أجله لجأ أفلاطون إلى اصطناع شخصية ديوتيما هو أنه لم يرد لسقراط أن يتعالى على أصحابه في المادبة ، ولا أن يظهر بمظهر الكاهن الذي يكشف النقاب عن الحقائق المطلقة ، فأسلوب ديوتيما مع سقراط هو أسلوب الحكيم مع تلميذه ، وقد عبرت عن شكها في فهم سقراط لأسرار الحب .

يروى سقراط أن ديوتيما أقنعته ـ كما أقنع هو أجاثون ـ أن الحب ليس بجميل وخير ، ولكن لا يلزم من هذا أنه قبيح وشرير ، فهو بين بين ، مثل الرجل الذي تكون له آراء صادقة ، ولكنه لا يستطيع أن يثبت صدقها بالدليل القاطع ، فهو في منزلة بين العلم والجهل . وهذا تشبيه مهم جداً في فهم المحاورة لأنه يفترض نظرية المثل. ومجمل النظرية أن ظواهر العالم الحسي المتعددة المتغيرة هي ظلال لمثل مطلقة خالدة ، والمثل هي وحدها الوجود الحقيقي ، والعالم يستمد حقيقته الجزئية من المشاركة في هذه المثل الخالدة ، ولقد وضع سقراط (التاريخي) أساس هذه النظرية ببحثه عن الماهيات الكلية للتصورات الأخلاقية

ولكن النظرية الكاملة التى وضعها أفلاطون تتجاوز ما لم يكن يخطر لسقراط على بال، فكل صنف من الأشياء سواء كان ماديًّا أو مجرداً يندرج تحت اسم مشترك، له مثال فى العالم الأزلى الخالد، وواجب الفيلسوف أن يتجاوز ظلال العالم الحسى الذى يتذكر به المثل التى كانت النفس تشاهدها قبل اتصالها بالبدن، يتجاوزه إلى تأمل المثل فى ذاتها؛ وتنتظم المثل فى نظام هرمى يتربع على قمته مثال الخير، والرجل الذى يستطيع أن يرقى إلى معاينة مثال الخير ويشاهد الحقيقة باعتبارها نظامًا مترابطًا؛ مثل هذا الرجل يقال له حكيم، ويتم هذا بالترقى الذى يتطلب مرانًا عقليًّا شاقًّا، يصف أفلاطون مراحله فى كتاب «الجمهورية» ويصفه أيضًا فى المأدبة على لسان ديوتيما الحكيمة، ففيلسوف «الجمهورية» هو بعينه المحب المثالى فى المأدبة الذى يتجه عن طريق نماذج الجمال فى عالم الحس إلى الجمال المطلق والجمال المطلق هو خير المطلق. والوصول إلى هذه الغاية تجربة صوفية من الطراز الأول يصعب وصفها والتعبير عنها؛ وإن كان أفلاطون يوشك أن يصفها فى خاتمة حديث ديوتيما .

الحب كما تقول ديوتيما هو جسر يصل العالم الحسى الفانى بالعالم العقلى الخالد؛ وتصور هذه الحقيقة بأسطورة تقول إن الحب مخلوق ذو طبيعة وسط، بين الآلهة والبشر. وجاءته هذه الطبيعة المشتركة من مولده، فأمه (الفقر) فهو لذلك يحيا دائمًا فى عوز وحاجة، ولكنه ورث عن أبيه (الغنى) الجرأة والقدرة على البحث عن محبوبه، وهو فيلسوف أو محب للحكمة لأن الحكمة جميلة. وهو يعشق كل جميل. وإذا كان الحب ينسحب على كل رغبة فى الخير والسعادة، فيمكن أن نسمى الناس جميعًا محبين، فتقول ديوتيما إن الناس محبون للخير بحسب المعنى الواسع، ولكنها تلاحظ أن الاستعمال المألوف يقصر الحب (الآروس) على الحب

الجنسى هو ما كان موضوع حديث من سبقوا سقراط ، وثمة طريق واحد فى إمكان هذا الحب أن يحقق به شيئاً من الخلود هو طريق التناسل . فمن طريق إحلال فرد جديد محل فرد آخر تخلع المخلوقات الفانية على نفسها صفة الخلود .

والولادة الجسدية أدنى مراتب الحب وأهونها شأناً وأرقى مراتبه هى الولادة بالروح ، ومن ثمارها الآثار الفنية ومظاهر التقدم الحضارى والاجتماعى ، فهذه جميعها تأتى نتيجة ارتباط عقلين راقيين يرغب الواحد فى الآخر لجماله ، خاصة جماله الروحى . وهكذا نصل إلى الحب النبيل حب الذكر للذكر ، فهذا الحب وإن كان عقيماً من الناحية الجنسية إلا أنه خصب غاية الخصوبة من الناحية الروحية . وهذا ما يريده أفلاطون من الحب الشاذ الذى يقصره على الرجال لأنه يرى أن المرأة عاجزة عن النشاط الإبداعى .

وتنتقل ديوتيما إلى النموذج الثالث من المحب ، وهو النموذج الراقى منه وهو الفيلسوف أو محب الحكمة ، وهو الذى يرقى فوق العالم الحسى فى مراحل تبدأ بمرحلة حب نماذج الجمال الحسية الفردية ، ثم ينتقل إلى حب الجمال الحسى عامة ومنه إلى جمال الروح ، ومنه إلى الجمال الروحى عامة ، ومنه إلى جمال المعرفة ، وأخيراً يرقى إلى مشاهدة مثال الجمال ذاته الذى يتيح له معرفة كاملة بحقيقة الكون بأسره . ذلك هو الحج العقلى الذى جاء وصفه كاملا فى كتاب « الجمهورية » ، والشىء الجديد فى المأدبة هو أن ذلك الحج إنما يتم بإلهام من الحب وبدافع منه . وتصفه ديوتيما بلغة التصوف والأسرار الدينية .

ويعقب هذا وصف حياة محب الحكمة الذى قام بحجه الروحى وقد حرر نفسه من قيود الحس ، وأصبح يحيا فى عالم الحقيقة لا فى العالم الفانى ، ويمكن أن نقول إن المحب الصادق للحكمة يميل بطبعه إلى السعى وراء الحق ولا يطيق المكوث فى عالم

الكثرة الجزئية ، وهو يغذى السير برغبة قوية ولا ينى جاهداً حتى يصل إلى الحقيقة بهذا الجانب من النفس الذى يدرك الحقيقة لأنه من جنسها ، وعندئذ ، وعندئذ فقط ، عندما يصل إلى الحقيقة ويتحد بها يتمتع بالمعرفة الكاملة ، ويتخلص من آلام الوضع ، وهنا يستعمل أفلاطون لغة الحب العادية ، ويتحدث عن العمل الذى يتوج سعى الفيلسوف بأنه زواج يتم بينه وبين الحق الأسمى والخير الأسمى .

إن الصعوبة فى فهم المأدبة تنحصر فى إدراك التفرقة بين النوع الثانى والنوع الثالث من الحب والمحبين ، وإذا قارنا المأدبة بمحاورة « فيدرس » التى تعالج الموضوع نفسه نجد هذه التفرقة واضحة بينة ، فى « فيدرس » نجد الأنواع الثلاثة ، النوع الحسى الخالص ، ومحبى الشرف ومحبى الحكمة . والنوع الثانى فى « فيدرس » يقابل النوع النبيل الذى تحدث عنه بوزنياس فى المأدبة . وأفضلهم جميعاً هو محب الحكمة فهو لا يزال يحس بلذة الجمال الحسى ، ولكنه لا يسمح له أن يعوقه ولو لحظة قصيرة عن السعى وراء الجمال الحقيقى .

عندما كتب أفلاطون محاورتيه : « المأدبة » و « فيدرس » لم يكن قد وصل إلى استنكار تام للجنسية المثلية ، فلا يزال يميل إلى الجمال الحسى وخاصة جمال الشبان كما كان يفعل أستاذه سقراط الذى كان كثيراً ما يتحدث عن نفسه أنه يحب الشاب الوسيم ، وإن كان حبه يختلف عن حب الرجل العادى .

ويجدر أن نشير الآن إلى صلة الحب الأفلاطونى بمذهب أفلاطون الفلسفى ، وقد بذلت محاولات أولية لتبيان أن مذهب أفلاطون فى الحب ، إنما هو جزء متمم لمذهبه الفلسفى . فالآروس (الحب) عند أفلاطون هو مبدأ عام يشمل أوجه النشاط الإنسانى الراقى ؛ والحب الأفلاطونى هو بحث وراء الحقيقة والجمال يقوم به شخصان من جنس واحد تلهمهما عاطفة متبادلة . وعند أفلاطون أن ذلك المبدأ هو الدافع الذى يوحى بالحب لفردين على شريطة أن يطرحا جانباً

الرغبة الحسية ؛ وهو أيضًا بحث الفيلسوف عن الحقيقة، أو هو من قبيل بحث الصوفى عن الله وحبه له . وهذا المعنى للحب هو الذى أثار الإشكال حول طبيعة الحب الأفلاطونى من قديم ولايزال يثيره إلى الآن ، فالحب عند أفلاطون لا يرادف معنى الحب الذى نستعمله الآن بحال من الأحوال . وثمة اعتبارات تؤيد وجهة نظر أفلاطون ، فقد كشف علم النفس الحديث عن عمل الدوافع الجنسية فى ميادين لم يكن أحد يفكر أنها تصل إليها إذ تتسامى الرغبة الجنسية تدريجًا ، ولذلك يجد الترقى الذى تحدثت عنه ديوتيما قبولا عند القارئ الحديث. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن وصف الحالة الأخيرة للمحب الذى يصل إلى مشاهدة الجمال الأسمى هو ما يحدث للمتصوفين فى عصور وبلدان مختلفة، وتذكر القارئ بتأويل الكنيسة لأناشيد سليمان الحكيم الغزلية ، وبالشواهد العديدة من آثار أهل التصوف .

ننتقل إلى حديث القبيادس الذى يمدح فيه سقراط، ويلاحظ أن حديثه تتمة للموضوع وليس انتقالاً إلى موضوع جديد، لأن سقراط — عند أفلاطون — هو النموذج الكامل لمحب الحكمة أو الفيلسوف ويسميه القبيادس شبيه الروح ، وهو تجسيم حى للأروس ، وأفلاطون يجرى على لسان القبيادس وصف شخصية سقراط وأسلوب حياته ، وهذا تفسير جديد لإدخال شخصية ديوتيما، فهو لا يريد أن يضع على لسان سقراط وصفًا لرجل يكون هو نموذجه الوحيد فكأنه يمدح نفسه .

وسقراط كالحب مجموعة من المتناقضات ، والمفارقات ، فالجمال الروحى مرتبط فيه بقبح الخلقة ، ومظهر المرح يخفى قدرة على ضبط النفس فائقة . والمثل الرائع على تغلبه على شهوة البدن هو مقاومته لإغراء القبيادس بارتكاب الفحشاء معه ؛ فهو مثال للمحب الذى يطرح الجمال الحسى ويسعى وراء الجمال الروحى .

نضيف هنا شيئًا بصدد العلاقة التى تربط سقراط بالقبيادس . فى الناحية البدنية نجد أن سقراط هو المحب والقبيادس هو المحبوب ، وإن كان

سقراط يأنف من إشباع أية رغبة بدنية .ومن الناحية الروحية نجد العكس، فسقراط هو المحبوب لأنه يملك جمال الروح . ويضيق القبيادس بنفسه لأنه يريد القرب من سقراط ، ولكن هذا يقتضيه اطراح مطامعه السياسية وحياة اللهو التى يحياها ، وهو من جهة أخرى يريد أن يرضى ضميره القلق بأن يثبت لنفسه أن سقراط ليس خيراً من الآخرين ، ولكنه يفشل فيتبلبل ويضطرب . ويمكن إجمال موقف القبيادس فى الجملة المشهورة : أرى الخير ، وأميل إليه، ولكننى أقارف الشر .

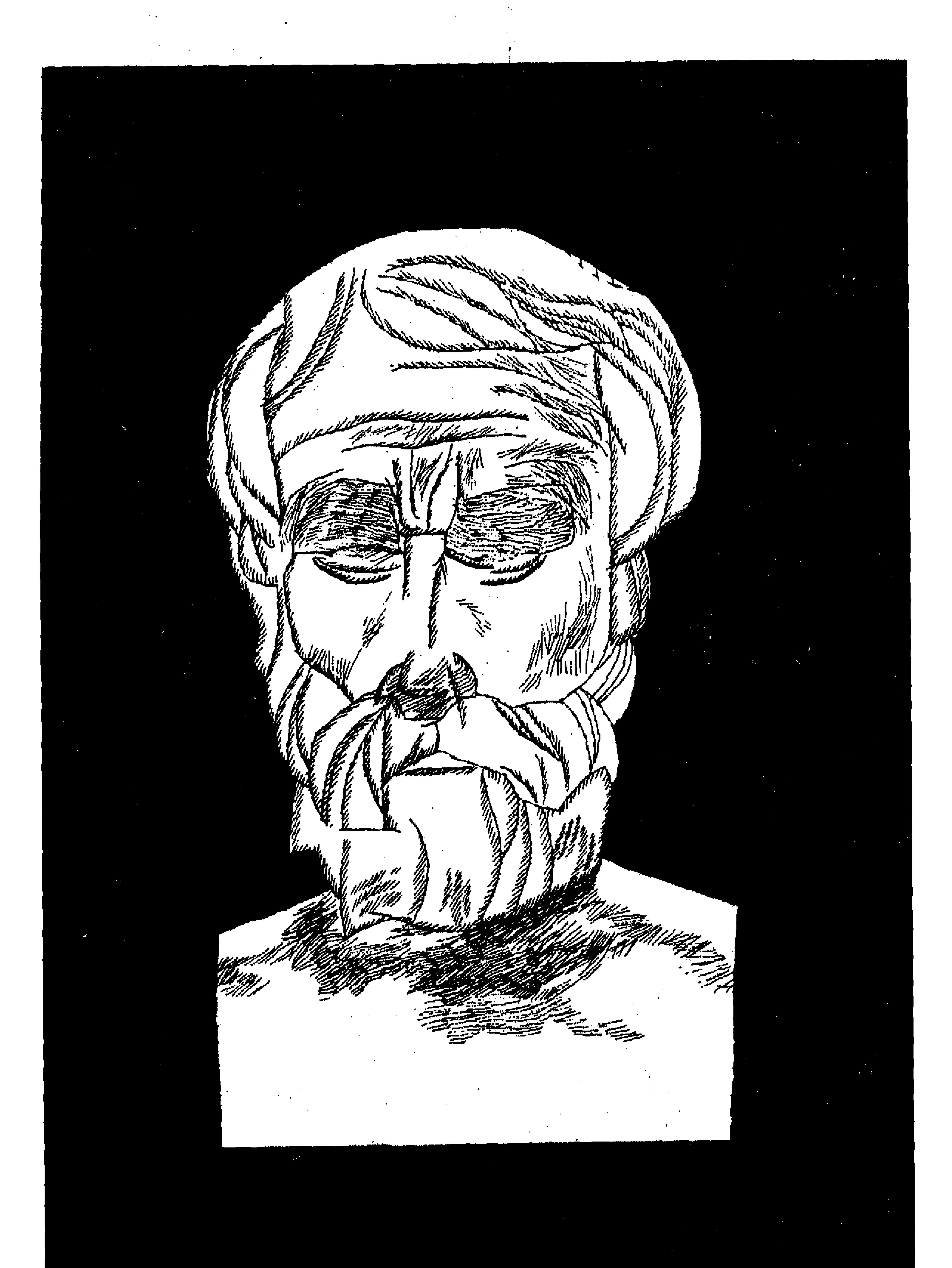
ونحن نعتقد أن أفلاطون قصد بحديث القبيادس أن يدفع عن سقراط تهمة إفساد القبيادس ، وهى تهمة رمى بها سقراط وسقى السم من أجلها ،فقد اتهم أنه أفسد عدداً من خيرة شباب أثينا وأنه أغراهم بنبذ الأخلاق المأثورة ودفعهم إلى السير فى طريق مخالف للديموقراطية الأثينية ، وكان القبيادس أشد تلاميذ سقراط جرماً فى حق الوطن . فسقراط فى المأدبة يدفع عن نفسه هذه التهمة كما فندها فى دفاعه المشهور ، ولذلك فإن القصص التى رواها عنه القبيادس تصور سقراط فى صورة المواطن الغيور على وطنه، كما تصوره فيلسوفاً حقاً . والحق أن حديث القبيادس الذى ألقاه عفو الخاطر ملىء بالمعانى .

بقيت مسألة واحدة ، فقد قيل إن الآراء التى رواها سقراط عن ديوتيما لا يمكن أن تعزى إلى سقراط الحقيقى : هذا حق ، أما عن الصورة التى رسمها القبيادس لسقراط ، فلا نتردد لحظة واحدة فى القول بأنها صورة حقيقية مطابقة للواقع التاريخى إلى حد كبير .

و . هاملتون

المأدبة

فلسفة الحب



اریستوفانز

أبولودرس : أرانى لا أزال أذكر ما تطلب منى أن أرويه لك ، فقد حدث أول أمس وأنا فى طريقى إلى البلدة آتياً من بيتى فى فالروم ، أن لمحنى أحد معارفى فصاح فى لهجة ساخرة :

أيا أبولودرس هلا انتظرنى حتى ألحق بك ؟ .

فوقفت حتى لحق بى .

وقال : كنت أبحث عنك يا أبولودرس ، لأنى أريد أن أعرف ماذا حدث فى مأدبة أجاثون وما كان بين سقراط والقبيادس وغيرهما وماذا قالوا عن الحب ، ولقد أعلمنى بها رجل ذكرها له فينكس بن فيليب ، ولكن روايته كانت ناقصة فأخبرنى أنك خير من يروى القصة فهل حضرت المأدبة ؟ .

ــ لا شك أن رواية الرجل ناقصة ما دمت تظن أنى حضرت المأدبة أو أنها أقيمت منذ زمن قصير .

ــ هذا ما اعتقدته .

ــ كيف تعتقد هذا يا عزيزى جلوكون ؟ . ألا تعلم أن أجاثون غادر أثينا منذ زمن بعيد، وإنى ما عرفت سقراط إلا منذ سنوات ثلاث ،وصار شغلى الشاغل أن أقف على ما يقول وما يفعل، وكنت قبل أن أعرفه ضالاً حائراً ، وأحسب نفسى على هدى ، كنت أتعس مخلوق على ظهر الأرض ، كنت فى مثل تعاستك أنت الآن . أرى أن الحكمة آخر ما ينبغى للرجل أن يكرس حياته لطلبه .

أجابنى : بالله لا تسخر منى . دع هذا وخبرنى متى كانت المأدبة ؟ .

قلت : ونحن بعد صبية، فى السنة التى فاز فيها الشاعر أجاثون بالجائزة عن أول « مأساة » له وقد أقامها فى اليوم التالى للاحتفال التقليدى مع الشعراء والممثلين .

ــ من زمن بعيد إذاً ! . من وصف لك الحفلة ؟ . أسقراط نفسه ؟ .

ــ كلا ، وصفها لى الرجل الذى وصفها لفينكس . رجل اسمه أرستديموس

ضئيل الجسم قصير القامة اعتاد أن يمشى حافى القدمين ولعله ذهب إلى المأدبة لأنه كان من خلصاء سقراط أيامئذ ، ولقد رجعت إلى سقراط فى بعض ما رواه الرجل فأيد روايته .

إذاً لا تدعنى متلهفاً إلى سماع القصة وفى سيرنا إلى البلد فرصة طيبة للكلام .

وهكذا أخذنا نتحدث ونحن سائران . وأذكرك ما أنا إلا راوية لراو . وما دمت حريصاً على سماع القصة فلا يسعنى إلا استجابة رغبتك . والحق أنى أغتبط بأن أتحدث إلى الناس ، فى المسائل الفلسفية لا أبغى من وراء ذلك أية فائدة تعليمية ، أما ما يدور بينكم، معشر الأغنياء ، فأنا كاره له زاهد فيه مشفق على نفسى وعلى غيرى منه، فأنتم على ما يظهر راضون عن أنفسكم بما أديتم من عمل أو تظنونه عملا ، وفى الحقيقة أنكم لم تعملوا قط . ولعلك ترانى مخلوقاً بائساً وقد تكون على حق فى هذا ، ولكن رأيى فيك هو من قبيل العلم الصحيح لا من قبيل الظن والحدس .

الصديق : هكذا أنت دائماً يا أبولودرس ، سىء الظن بنفسك وبغيرك ، فعندك أن الناس كافة خلا سقراط بائسون. وأنت منهم حتى لقبت بالمجنون، ورميت بالهوس ، ولا أعرف كيف اكتسبت اللقب ، ولكنك تستأهله ، وعلى أى حال فها أنت حانق على كل إنسان حتى على نفسك ، اللهم إلا سقراط .

أبولودرس : يا صديقى العزيز ، الظاهر أنى أبدى تعصباً وشذوذاً بتمسكى بهذا الرأى فيك وفى نفسى .

الصديق : إذاً فلنترك هذا ، وامض فى سرد ما طلبته منك .

أبولودرس : حسناً ، حدثت الأمور على النحو التالى، ولكن يحسن أن أرويه لك من بدايته على النحو الذى رواه لى أرستديموس، أى كما يلى :

التقيت بسقراط خارجاً من الحمام منتعشاً وهو منتعل ، على غير مألوف عادته، فسألته عن وجهته وقد اهتم بمظهره كل هذا الاهتمام . فأجاب : إلى مأدبة أجاثون ، فإنى لم أحضر مأدبة أمس لأنى أنفر من الجمهور . ولكنى وعدته

بالحضور اليوم ، أما عن مظهرى الذى تعجب له فالمرء يجب أن يأخذ زينته إذا كان ذاهباً للقاء رجل وسيم . ثم أضاف : ما قولك فى المجىء معى وإن لم تدع ؟. قلت إنى رهن إشارتك . قال : إذاً تعال . والمثل القديم يقول : يذهب خيار الناس إلى موائد خيارهم غير مدعوين . ولا يحتاج إلا إلى تغيير طفيف حتى ينطبق عليك . وإن كان هوميروس قد أفسد المثل ولم يغيره وحسب فقد استشهد به عندما ذكر أن مليناوس حضر مأدبة أجاثون غير مدعو ، فأجاممنون محارب من الطراز الأول ولم يكن مليناوس نداً له . قلت : أخشى ياسقراط أن ما ذكره هوميروس ينطبق على ما ذكرته أنت ، فأنا رجل مغمور يذهب إلى مأدبة أجاثون ، وأجاثون هو من هو ، وإذا ما بدا لك اصطحابى فعليك أن تفكر فى عذر تقوله ، أما أنا فلن أعترف أنى ذهبت من غير دعوة وسأقول إنك دعوتنى . قال : هيا بنا ، واثنان خير من واحد فى التفكير فيما ينبغى أن يقال .

وبعد هذا النقاش أخذنا طريقنا إلى بيت أجاثون ، ولكن سقراط أخلى نفسه لأفكاره فتخلف عنى فكنت أبطئ السير حتى يلحق بى ولكنه طلب منى أن أسبقه . وبلغت بيت أجاثون فوجدت الباب مفتوحاً ، ووجدت نفسى فى موقف لا أحسد عليه ، واستقبلنى خادم قادنى إلى حجرة اجتمع فيها الضيوف . وكانوا على أهبة تناول الطعام وما أن وقع نظر أجاثون علىّ حتى صاح : لقد جئت فى الوقت المناسب يا أرستديموس هيا إلى الطعام ودع ما جئت من أجله ، لقد قلبت الأرض بحثاً عنك بالأمس فلم أجدك فأدعوك ، ولكن لماذا لم تحضر سقراط معك ؟ . واستدرت أبحث عن سقراط فلم أجد له أثراً ، فقلت : الحق أنى جئت مع سقراط ، وهو الذى دعانى . وعندئذ قال أجاثون حسناً فعل ولكن أين هو ؟ قلت : قال لى إنه سيلحق بى ولا أعرف ما حدث له بعد . فأرسل أجاثون الخادم فى طلب سقراط . ثم قال لى : اجلس أنت بجوار أريكسماخوس .

وأحضر لى الخادم ماء لأغتسل قبل أن آخذ مكانى حول المائدة . وجاء الخادم الذى أرسل فى طلب سقراط ، وذكر أن سقراط واقف فى رواق مجاور غير ملق بالاً لأحد ولم يستمع للخادم ، فقال أجاثون : يا للشذوذ . عد واستدعه

ولا تغادره حتّى يعطيك الرد، فقلت : لا تفعل ،دعه فى خلوته. فهذا دأبه دائمًا إذ يختلى بنفسه ويقف جامداً حيث يكون وسيأتى سريعًا وأنا واثق مما أقول فلا تقلقوه بل ذروه حيث هو وكما هو .

فقال أجاثون : لا بأس ما دام الأمر كما تقول : ثم وجه الخطاب إلى الخدم قائلا : قدموا لنا الطعام الآن وأنتم أحرار فاخدمونا كيفما شئتم ولا رقيب عليكم، فعاملونا كأننا ضيوفكم حتّى تفوزوا بثنائنا .

بدأنا فى تناول الطعام ولما يأت سقراط، وأراد أجاثون مراراً أن يرسل فى طلبه ولكنى لم أدعه يفعل . وجاء سقراط فى النهاية ونحن لا نزال نطعم . وكان أجاثون جالسًا على وسادة بمفرده(١) فما أن رآه مقبلا حتّى صاح به. تعال يا سقراط فلتجلس بجانبى لعلى أقتبس منك ما اكتشفته فى وقفتك فى الرواق وأنا قريب منك ، فيلوح لى أنك لا بد وصلت إلى شىء . فجلس سقراط وقال : حسنًا يا أجاثون ، او أن الحكمة تنساب ممن يملك الكثير منها إلى من يملك القليل كما ينساب الماء من إناء مترع إلى إناء فارغ ، فأنا سعيد إذ أجلس إلى جوارك، فلا ريب أنك ستغمرنى بفيض من حكمتك العالية ،أما حكمتى فضئيلة ليس لها حظ من الواقع أكثر مما للحلم. وحكمتك مشرقة لامعة ولا يزال إشراقها ولمعانها فى ازدياد ، فأنت لا تزال فى ربيع العمر ؛انظر كيف بهرت حكمتك أول أمس أنظار ثلاثين ألفًا من اليونان .

فأجاب أجاثون : كفاك تهكمًا يا سقراط ودع الآن حديث الحكمة وسيحكم بيننا فيما بعد ديونزيوس رب الخمر ، أما الآن فعليك بطعامك .

وتناول سقراط طعامه مثل الآخرين . وسكبنا الخمر وأنشدنا الأناشيد للآلهة ، وأدينا الشعائر المألوفة . وما أن فرغنا منها حتّى تفرغنا للخمر(٢) وعندئذ قال بوزنياس : والآن أيها السادة ماذا ترون فى الخمر ؟ . وماذا تقولون فى الإقلال منها ،فلا أخفى عليكم أنى لا أزال أعانى مما شربت البارحة وأحتاج الآن إلى شىء من الراحة ، وأنتم قد شاركتمونى بالأمس فلعلكم تحذون حذوى فلنخضع لقاعدة سهلة فى الشرب . فصاح أرستوفانز : صدقت يا بوزنتاس ، وقد أخلصت فى

النصح بالإقلال من الخمر وقد شربت فوق طاقتى أمس . قال أريكسماخوس ابن أكومينوس : أوافقكما الرأى ، ولكنى أحب أن أعرف حالة رجل هنا كيف أنت يا أجاثون ؟ . فأجابه : أشعر أننى تعب غاية التعب — قال أريكسماخوس إنى مغتبط إذ أسمع منك هذا القول ، أنا وأرستديموس وفيدرس والأصدقاء الآخرون ، فأنت أقدرنا على شرب الخمر قد أصابك منها ما أصابك وسلمت بالهزيمة ، ولم يكن فى استطاعتنا مباراتك ، ولا أدخل فى حسابى سقراط ، فسقراط يرضى بالأمرين معاً ، وينزل عند رغبتنا وما دام لا يوجد بيننا من يرغب فى الإفراط فى الشرب فاسمحوا أن أحدثكم ما يصنع السكر بصاحبه ، فلقد أقنعتنى تجاربى الطبية أن السكر ضار بالناس ، مفسد لهم فلا ترونى أنصح أحداً بالإكثار من الخمر ، وخاصة من لا يزال يعانى مما شرب بالأمس . وهنا قاطعه فيدرس المبرهينوسى وقال : لا بأس ، لقد تعودت أن أستمع إلى نصحك وخاصة فى المسائل الطبية ، وأحسب أن غيرى متفق معى فى هذا إذا ما سمعوا لحكم العقل . فوافق الجميع ألا يشربوا حتى يسكروا ، ولكلٍّ أن يشرب كلما أحس ميلا إلى الشرب .

قال أريكسماخوس : وقد أجمعنا على أن لكلٍّ أن يشرب كما يشاء ، ولا إكراه فى الأمر ، فأرى أيضًا أن نصرف عازفة الناى التى حضرت الآن ؛ لتعزف لنفسها إذا شاءت أو لتعزف لنساء البيت ، أما نحن فنسلى أنفسنا بالحديث ، أما عن موضوع الحديث فعندى ما أشير به إذا ما رغبتم فى سماعه . وأهاب به الحاضرون أن يفعل . فاستطرد يقول: أبدأ كلامى على نحو مما فعل ميلا نيب فى مسرحية ليوربيدز : « ليست القصة قصتى » ، فالموضوع هو موضوع صديقنا فيدرس ، ففيدرس لا يفتأ يقول لى: أى أريكسماخوس إذا كان للآلهة أغان وأهازيج ينشدها إياهم الشعراء أليس من العار أن شاعراً فرداً — وهم كثيرون — لم يفكر فى إنشاء مديحة لأعظم وأقدم إله ، وهو إله الحب؟ ودونك مربونا المحترفون (٣) قد مجدوا هرقل وغير هرقل نثراً ، وأضرب المثل برود يكوس العظيم ، ولعل هذا لا يدهشك كثيراً ، ولكن ما قولك فى عالم

جليل يؤلف كتاباً موضوعه تمجيد الملح ومدح منافعه ومزاياه وغير هذا كثير وكثير جداً ، ومما يمض النفس ، أنه بينما أجهد الناس أنفسهم فى مدح تلك الأشياء جليلها وحقيرها لم يجد أحدهم الشجاعة على مدح الحب بما هو أهل له . هذا حديث فيدرس إلىّ ، وإنى شاكره بضم صوتى إلى صوته فأقول إنه خليق بنا فى مناسبتنا هذه أن نكرم ذلك الإله ، وإذا ما وافقتم فلا نحتاج لغير الكلام لتحقيق غرضنا النبيل ، وأقترح أن كلاً منا ، من اليسار إلى اليمين يسوق حديثاً فى تمجيد الحب على نحو ما يشاء ، على أن نبدأ بفيدرس لأنه صاحب الفكرة وهو جالس أقصى اليسار كذلك .

قال سقراط : لا أخال أحداً يعارضك يا أركسماخوس ، فلست أعارضك ، فالحب هو الموضوع الوحيد الذى ألم به ، ولن يعارضك أجاثون ولا بوزيناس ولا حتى أرستوفانز الذى يميل بهواه إلى ديونزيوس وأفروديت ، إذن فلن تجد من يعارضك هنا . وإن كنا نحن الجالسين إلى أقصى اليمين مغبونين لأن المتقدمين علينا لن يتركوا لنا شيئاً يقال ، ولكنا لن نضار من هذا . فليبدأ فيدرس ، وأرجو له التوفيق .

أمن الباقون على كلام سقراط ، ودعوا فيدرس أن يقدم حديثه .

« ولم يذكر أرستديموس كل ما دار على ألسنة المتكلمين بالحرف الواحد » ولا أذكر أنا كل ما رواه لى أرستديموس وحسبك أن أروى لك ما علق بذاكرتى من حديث كل واحد منهم وأهم ما تضمنه .

قلت لك أن أرستديموس ذكر لى إن فيدرس استهل حديثه بأن الحب إله عظيم موقر من الآلهة والناس جميعاً لا من أجل أصله ومولده وحسب ، ولكن لأسباب كثيرة .

قال فيدرس : لا شك أن بين آيات الشرف أن يكون الإله من أقدم الكائنات ، والحب إله قديم ، وآية ذلك أن ليس له أب ولا أم ، ولم ينسبه

كاتب من الكتاب إلى أم أو أب فى شعر أو فى نثر ويخبرنا هزيود أن العماء هو أول ما برز إلى الوجود . . .

ثم . . .

الأرض ذات الصدر العريض ، وعلى أسسها الثابتة تقوم الخليقة كلها . والحب . . .

ويؤيد أكوزيلوس (٤) هزيود أنه جاء بعد العماء الأرض ثم الحب

وقال بارمنيدس بصدد الخليقة :

وابتدعت من بين الآلهة أولا : الحب (٥) .

فها أنتم ترون أن ثمة اتفاقاً عاماً على قدم الحب .

والحب بالإضافة إلى قدمه هو الذى يمنحنا الخير الكثير ، والنعم العديدة ، فلا شىء أنفع للفتى من أن يجد له محباً جديراً به ، ولا شىء أجدى على محب من أن يجد محبوباً أهلاً له . وأرى أن المبدأ الذى ينبغى أن يسير وفقاً له من يريد أن يحيا حياة كريمة نبيلة لا يأتيه من العائلة مهما شرفت ، ولا من المال مهما كثر ، ولا من المركز مهما علا ، بل الحب هو الذى يوفره له ويمنحه إياه . ولعلكم تسألوننى : أى مبدأ تعنى ؟ فأقول إنه المبدأ الذى يجعل المرء يزور عما يزرى ، ويمتهن الكرامة ويقبل على ما هو نبيل جايل ، ولا يستطيع فرد ولا دولة تحقيق عمل عظيم بدونه . لنفرض أن محباً وجد مرتكباً فعلا ذميماً أو عجز عن دفع إهانة لحقت به ، أؤكد لكم أنه لا يؤلمه رؤية أبيه أو صديقه فى مثل تلك المواقف ، كما يؤلمه رؤية محبوبه فيها . والمحبوب كذلك نجده حريصاً فيما يتصل بالشرف والكرامة فى محضر محبه . فإذا فكر أحد فى تنظيم دولة (٦) أو تأليف جيش من المحبين والمحبوبين وحدهم فلن تجدوا للدولة تنظيماً خيراً من هذا التنظيم ، ولا للجيش تأليفاً أحسن من هذا التأليف ؛ فهؤلاء خليقون أن يترفعوا عن أعمال الخسة والنذالة ، وقد اشتركت غاياتهم وتوحدت أمانيهم وامتزجت عواطفهم . إن حفنة من هؤلاء يهزمون العالم كله . أترون محباً يترك مواقعه على مرأى من محبوبه ؛ إن الموت عنده خير من الحياة ألف مرة ، ولا يفعل

ذلك . أترون أحداً أسف إلى أن يترك محبوبه وقد حاق به الخطر ، وتربص به الموت . والحب ينفخ فيه من روحه فيجعله أشجع الشجعان . وقصارى القول إن هوميروس يصف تأثير الحب بالرجال وهو يتكلم عن الإلّه الذى ينفخ العزم فى صدر أحد أبطاله .

أترون غير المحب أحداً يضحى بحياته من أجل غيره ؟ . وتجدون مصداق هذا القول بين الرجال والنساء على السواء ، وإنى وأنا أخاطب إغريقيًا لا أجد مثالا أستشهد به خيراً من الذى ضربته اليستيس بنت بيلياس (٧) ، فهى الوحيدة بين النساء والرجال التى آثرت الموت بدلاً من زوجها ، ولم يفعل ذلك أبواه . وكان حبها من القوة بحيث ظهر أبواه كأنهما غريبان عنه ولا تربطه بهما رابطة من دم ، وبدت تضحيتها عظيمة لا فى أعين البشر وحسب بل فى أعين الآلهة ، حتى أسبغوا عليها تكريمًا لم ينله إلا القليل من أصحاب البطولات الفذة والتضحيات النادرة ، فأنقذوا زوجها من هيدز إعجابًا بها وإكرامًا لها ، حتى الإلّه ! . إنهم يقدرون الشجاعة الفذة التى يأتى بها الحب . أما أورفيوس (٨) بن أويجزوس فقد رده الآلهة عن هيدز خائبًا فلم يفز باستنقاذ زوجه التى سعى إلى هيدز من أجل استنقاذها فلم ير غير شبحها ، أما هى فأبوا عليه أن يمتع نظره برؤيتها ، لأنه قد بان للآلهة أن أورفيوس تنقصه الروح وهذا أمر طبيعى من موسيقار جبن ، ولم يقدم على الموت فى سبيل من يحب كما فعلت اليستيس ولكنه سعى أن يدخل هيدز حيًّا ، وكان عقابه أنه قتل بأيدي النساء. هذا ما فعلته الآلهة بأورفيوس بينما أكرمت أخيل بن ثينيس وحملته إلى جزر السعداء (٩) لأن أخيل أقدم عن إنقاذ حبيبه باتروكلوس والانتقام له ، وكان ذلك معناه الموت من أجله لأنه كان يعلم أن الموت مصيره لو قتل هكتور ، وإن لم يقتله عاد إلى بيته سالماً ومات حتف أنفه بعد عمر طويل ، فلقى

من الآلهة جزاء بطولته وتضحيته معاملة لم يفز بها أحد مثله فقد أظهر بعمله منزلة محبوبه عنده .

وأحب أن أبين فى هذا المقام أن أيسخليوس جانبه التوفيق عند ما قال إن أخيل هو محب بتروكليوس ، فأخيل إنما كان أجمل من بتروكليوس ، بل إنه أجمل الأبطال جميعاً ، وكان لا يزال يافعاً أمرد وكان أصغر من بتروكليوس حسب رواية هوميروس ولئن كان الآلهة يقدرون شجاعة المحب إلا أن تقديرهم يزيد لعاطفة المحبوب ويجزونه عليها أحسن جزاء ، لأن المحب تتملكه قوة[١٠] إلٓهية فهو أقرب إلى الآلهة ، وأقرب من الآلهة من المحبوب . ويفسر لنا هذا لماذا أسبغوا على أخيل ما لم يسبغوه على اليستيس فأرسلوه إلى جزر السعداء .

وإنى لا أقول إن الحب أقدم وأعظم وأكرم الآلهة وحسب ، بل إنه أقدرها على معاونة الإنسان على اكتساب الفضيلة ، والحصول على السعادة فى هذه الحياة الدنيا وفى الآخرة .

« هذا أو قريب منه كان حديث فيدرس على ما روى لى أرستديموس وقد عقب عليه الآخرون بكلام لم يروه لى ، وإنما انتقل إلى الحديث التالى وهولبوزنياس ، قال :

لا أوافقك يا فيدرس على ما قيدت به أحاديثنا وجعلها مدائح بسيطة وكفى ، فلو أن للحب طبيعة واحدة وجنساً واحداً لرضينا أن نجعلها كذلك ، ولكن الحب ليس كذلك فهو ذو طبائع مختلفة ، ومن أجناس متعددة ، فيجمل بنا منذ الآن أن نتفق على النوع الذى نمدحه وأنا بدورى أفعل هذا الآن وأذكر أى أنواع الحب ينبغى أن يكون موضوعاً لحديثنا قبل أن نمضى فى مدح الحب بما هو أهل له . تعلمون أن أفروديت مرتبطة بالحب ، فلو كان ثمة أفروديت واحدة لجاز أن يكون ثمة جنس واحد للحب ، ولكن ثمة أفروديايتين[١١] ، فلا بد أن يكون ثمة نوعين من الحب فمن هما الأفروديتان ؟ . هناك أفروديت الكبرى وهى بنت أورانوس ولا أم لها ، واسمها أفروديت السماوية ،

وأفروديت الصغرى وهى ابنة ديون من زيوس ونسميها أفروديت العامية ، والحب الذى يرتبط بها نسميه الحب الوضيع ؛ ولا أنكر أنه خليق بنا أن نمدح الآلهة جميعهم ، ولكن علينا الآن أن نكتشف خصائص تلك التى تستأهل الإخلال والإكبار . وأقول الحقيقة إن العمل فى ذاته ليس بخير ولا بشر ؛ ومثلا ما نؤديه الآن من عمل من شرب وسمر ، وليس منها ما هو خير فى ذاته ولذاته ، وإنما تأخذ صفتها من الكيفية التى نمارسها بها ، وهذا شأن أفعال الحب والحب نفسه . فليس الحب المطلق هو الخير ، وهو الجدير بالثناء والتمجيد ، وإنما الحب الذى يجعل الناس يحبون حبًّا صحيحًا صادقًا .

ولا شك فى خسّة ودناءة الحب الذى ينسب إلى أفروديت العامية ، إذا كان معتمداً على المصادفة وحدها وكان تأثيره ضاراً : فذلك الحب يؤثر فى الناس تأثيراً وقتياً عابراً يعتمد على المصادفة وحدها ، وهو الحب الذي يعمر قلوب السفلة والعامة ، ومن علاماته أنه يتجه إلى النساء وإلى الغلمان ، فهو حب حسى لا روحى وتجده أيضًا يؤثر أن يكون محبوبه أضعف عقلا ، لأنه إنما يسعى لإشباع شهواته — البهيمية ولا يعنيه كيف يشبعها ، ومن هنا فى الغالب . وهذا الضرب من الحب يشارك طبيعة الربة التى ينسب إليها ويرتبط بها وهى أفروديت العامية ، التى جاءت إلى الوجود باتصال ذكر بأنثى (٢١) اتصالا جنسيًّا محضًا . أما أفروديت السماوية التى ينسب إليها النوع الممتاز من الحب فلا أثر للأنثى فيها ، وإنما جاءت من الذكر وحده . هذا من ناحية وهى — من ناحية أخرى — تكبر أفروديت الأخرى ، فهى لذلك بريئة من نزق الشباب وطيشه . فمن يعمر قلبه الحب السماوى يميل إلى الذكور دون الإناث ، والذكر أقوى وأذكى بالطبيعة ؛ حتى بين الذكور الذين يحبون من أبناء جنسهم يمكن أن نميز الذين يخضعون للحب السماوى فلا يميلون إلى الغلمان بل ينتظرونهم حتى يبلغوا سن

الشباب وتنضج عقولهم وهم بذلك يظهرون استعدادهم لمبادلتهم حبّاً مقيماً ومشاركة باقية . وليسوا هم من أولئك الذين يغررون بالغلمان ويستغلون ما وهبوا من حسن ونضارة ثم يتركونهم سخرية وضحكة إلى صيد جديد برىء . ولو حرم القانون — كما ينبغى أن يفعل — على الناس الاتصال بالصبية والتغرير بهم لأنقذهم من الخطر وأبعد عنهم المكروه ، ودفع عنهم عاراً وسبة ولا ينالون من ورائه شيئاً موثوقاً به ، وحقاً إن خيار الناس يلزمون أنفسهم بهذا ، فيجب أن نلزم غيرهم من المحبين به ، ويمنعون أيضاً الاتصال بالحرائر . فأمثال هؤلاء هم الذين يسمون الحب بميسم الخزى والعار ، مما أطلق ألسنة الناس فيمن يسلم نفسه لمحب . وإن تجريح الحب لهذا السبب لضعف الناس وحاجتهم إلى الوازع وضبط النفس ، إذ لا يستحق عمل أيّاً كان الازدراء إذا ما مارسه الناس على نحو لائق وخاضع للقانون .

وإذا ما ذهبنا نستقصى ما شرعه الناس بشأن الحب فى تقاليدهم وسلوكهم ، نجد أن مبادئنا لا تزال غامضة مبهمة بينما سنت القوانين فى مدن أخرى ، وأصبحت هناك واضحة مفهومة . ففى إيليس وبيوتيا وإسبرطة يقرر القانون أنه لا خوف من إرضاء المحب ولا عار [١٣] فى ذلك . هذا فى المدن التى لا يجيد أهلها الكلام البليغ ، ولعلهم كفوا أنفسهم بذلك مئونة نيل ثقة الشبان بمعسول القول ، ولكن نجد أنه قد حرم هذا فى بلاد أخرى من أيونا وفى فارس . والسبب الذى من أجله حرم الحب الذى يعمل على إشباع العقل والجسم نجده فى طبيعة الدولة ذات السلطان المطلق ، فلا يتفق مع هذا أن يشيع بين رعاياها مشاعر الصداقة والعواطف الراقية وتلك — لعمرى — آثار الحب ، وآية ما أقول إن ما يصنعه الفرس يصنعه الطغاة فى أثينا ، فقد بلا الطغاة أمر هذا الحب ولقد أطاح بسلطانهم حب [١٤] أرستوجيتون وهارموديوس القوى . ونستخلص من هذا أن تحريم الحب فى بلد من البلاد إنما يقوم دليلا على ضعف روح الشعب ، وعلى رغبة الحكام فى التسلط وتخاذل الرعية ، وحيث ينظر إليه نظرة إجلال واعتبار فذلك يعود إلى تراخى المشرعين وكسلهم العقلى .

إن نظمنا لهى خير من تلك النظم ، ولكنها — كما قلت — معقدة غامضة . فنحن — من جهة — نرى أن الحب الصريح أنبل من الحب المستور ، ونقدر حب العظماء حتى لو كانوا قبيحى الخلقة فضلا عما يلاقيه المحبون من تشجيع ، فهذا دليل على أن الحب عندنا ليس شيئًا مخجلا ، والتوفيق فى الحب جدير بإعجابنا ، وأهل لتقديرنا ، بينما نشبع الفاشلين تهكمًا وذمًّا . ونحن لا نرضى عن تطرف المحب فى اقتفاء أثر محبوبه وحسب ، بل نحمد له ذلك ونمدحه عليه . بينما نكره هذا التطرف فى غاية غير هذه الغاية ، فمثلا لو أن رجلاً يرغب فى الحصول على شيء من المال ، أو مركزاً من المراكز فسلك كما يسلك المحب مع محبوبه فهو يتوسل ويتضرع ويلزم باب محبوبه ، ويرضى لنفسه عبودية بغيضة ، ألا ترون أن مثل هذا الرجل يذمه الأصدقاء والأعداء جميعًا ، وينكرون عليه هذا المسلك وينهونه عنه ؟ فأعداؤه يحتقرونه ولا يرضون له ذلته وفقره الروحى ، أما أصدقاؤه فيبذلون له النصح ويخجلون من مسلكه . ولكن هذا المسلك لو صدر من محب صادق لزاد من تقديرنا له وإعجابنا به ، ولا يخجل أحد من أجله لأننا نعلم الغاية النبيلة التى يرجو تحقيقها . وإنى أعجب للاعتقاد الشائع أن المحب وحده قادر على إخلاف وعده والحنث بقسمه ولا جناح عليه ، ويقولون قسم المحب ليس بقسم على الإطلاق ، ومعنى هذا أن المحب حر التصرف غير مسئول أمام الله ولا الناس . والخلاصة أن لا يعيبك أن تكون محبوبًا وأن تسلم لمن يحبك . ولكن عند ما تتذكر أن فتياننا الذين يوحون بهذه العاطفة النبيلة يوضعون تحت إشراف المعلمين ويوصيهم آباؤهم بألا يسمحوا لمحبيهم بالاتصال بهم ، وإذا ما اتصل محب بفتى عيره أخوانه وأقرانه ، ونحن لا نجد الكبار يضعون حداً لهذا ، ولا يعاقبون عليه ؛ إذا ما تذكرنا هذا كله انتهينا إلى نتيجة عكس النتيجة الأولى ، وهى أن الحب يجلب لصاحبه الخزى والعار .

والحقيقة — كما قلت من قبل — أن ليس ثمة خير مطلق ولا شر مطلق فى الحب ، ولكن يتوقف كل شيء على الظروف ، فإذا ما خضع الشخص لرجل فاسد على نحو لا يليق أعتبر الحب شرًّا ، ولكن

إذا ما خضع لرجل فاضل على نحو لائق عد الحب خيراً ؛ فالرجل الفاسد محب من النوع العامى يعشق الجسم لا الروح ، وليس مخلصًا فى حبه ، ولا بثابت العهد ، لأن ما يعشقه ليس بثابت ، فعند ما يذبل جمال الجسم ينصرف بحبه إلى سواه ، وتتبخر وعوده وعهوده كأنها أحلام . ولكن المحب النبيل يبقى حبه ما بقى على قيد الحياة لأن ما يهواه باق ما بقيت الحياة . فنحن نرى إذاً أن عاداتنا وتقاليدنا تهدف إلى امتحان المحبين امتحانًا قاسيًا ، فهى من جهة تدفع المحب على طلب محبوبه ، ومن جهة أخرى تغرى المحبوب على المراوغة والإفلات ، وبذلك يتمكن المحب النبيل وحده من تحقيق غاياته النبيلة فى النهاية ، ويفلت المحب من خطر المحب الفاسد ، فنحن نقيم نوعًا من المنافسة أو السباق للإبقاء على خير المحبين والمحبوبين وإظهارهم على غيرهم . ويرمى شعورنا العام إلى التمييز بين أمرين : الأول سرعة إجابة المحبوب لرغبات محبه ، والثانى أن يستجيب له بسبب ماله أو جاهه ، فهو إما يخشاه ويخافه ، وإما أنه لا يثبت أمام إغراء المال والجاه ، والزمان هو المحك الذى تمتحن به الأشياء ، والأمور التى تغرى المحبوب ليست ثابتة ولا دائمة ولا يمكن أن تقوم عليها صداقة نبيلة .

ولا توجد غير وسيلة واحدة يستطيع بها المحب أن يتمتع بمحبوبه على نحو لائق وفقاً لمبادئنا ، فنحن نرى أن المحب له أن يخضع لأى ضرب من ضروب العبودية فى سبيل محبوبه ولا يعبر على ذلك ، ونحن نرى أيضًا أن ثمة ضربًا من العبودية الاختيارية لا تستوجب مذمة ولا عاراً ، تلك العبودية التى يرضاها المرء لنفسه ليكتسب فضيلة ، وليحوز تفوقًا ، فإذا ما خضع محبوب لمحب يعتقد أنه يستطيع أن يكسبه فضيلة من الفضائل ، أو يلقنه علماً من العلوم فلا تثريب عليه وليس هو بمذموم . فإذا ما كانت العلاقة بين محب ومحبوبه شريفة عمل المبدآن جنبًا إلى جنب ، وأعنى بهما ما يتصل بسلوك محب الغلمان . وإذا

ما ارتبط المحب ومحبوبه كل وفق مبدئه الذى يتفق مع غايته ، الأول يقوم بأى عمل فى مقابل ما يقدم له محبوبه ، ويخضع الثانى لرغبات الأول ما دام فى إمكانه جعله حكيماً وفاضلا . وإذا كان المحب قادراً على تحقيق ذلك له وكان المحبوب حريصاً على ذلك . عندئذ يعمل المبدآن معا ، وعندئذ فقط يكون مما يشرف المحبوب أن يخضع لرغبات محبه ، ولا يذمه أحد على ذلك ولا يعيره به سواء كان مخدوعاً أو غير مخدوع . إذن فلنفرض أن فتى أرضى رغبة محبه ظاناً أنه غنى ، ثم خاب ظنه عند ما اكتشف أنه فقير ، فمثل هذا الفتى خليق بالذم لأنه أظهر أنه مستعد لإشباع زيد أو عمرو من الناس من أجل المال ولا شىء غير المال ، ولكن إذا ما أرضى رغبات رجل يظن فيه الفضل والعلم ، ويطمع أن يفيد من صحبته له ، وملازمته إياه فإذا بصاحبه فاسد الخلق جاهل ، فهو فى هذه المرة خليق بالإكبار وإن كان قد خدع لأنه أظهر أنه من معدن كريم ما دام كان يقصد إلى تحصيل الفضيلة والحكمة . ونخلص من هذا إلى أنه مما يشرف المحبوب أن يخضع لمن يحبه إذا كان هدفه التفوق وتثقيف الذات وتحليتها بمكارم الأخلاق . ذلك هو الحب السماوى الذى يرتبط بالربة السماوية وينسب إليها ، وهو الحب الذى تفيد منه الدول كما يفيد منه الأفراد ، لأنه يدفع المحب ومحبوبه إلى الكمال . أما ضروب الحب الأخرى فإنما تنسب إلى الأخرى ، إلى أفروديت العامية .

هذا خير ما أستطيع أن أقوله عن الحب يا فيدرس .

* * *

وجاء دور أرستوفانز ولكنه كان يعانى من الفواق بسبب التخمة أو بسبب آخر ، فاستعصى عليه الكلام . فقال لأريكسماخوس الطبيب وكان إلى جنبه : يا أريكسماخوس عليك بأحد أمرين ، تشفينى من الفواق أو تأخذ دورى فى الكلام حتى يذهب عنى : أجاب الطبيب سأفعل الأمرين معاً ، سأتكلم مكانك ، وتأخذ أنت دورى عندما تشفى من الفواق . أما كيف تتخلص منه فكف عن التنفس بعض الوقت ، وإذا لم يفدك هذا غرغر بقليل

من الماء ، وإذا ما استمر الفواق بالرغم من كل هذا فدغدغ أنفك بشيء ما حتى تعطس ، فعطسة أو عطستان ، تكفى لإيقاف الفواق مهما كان عنيفاً .

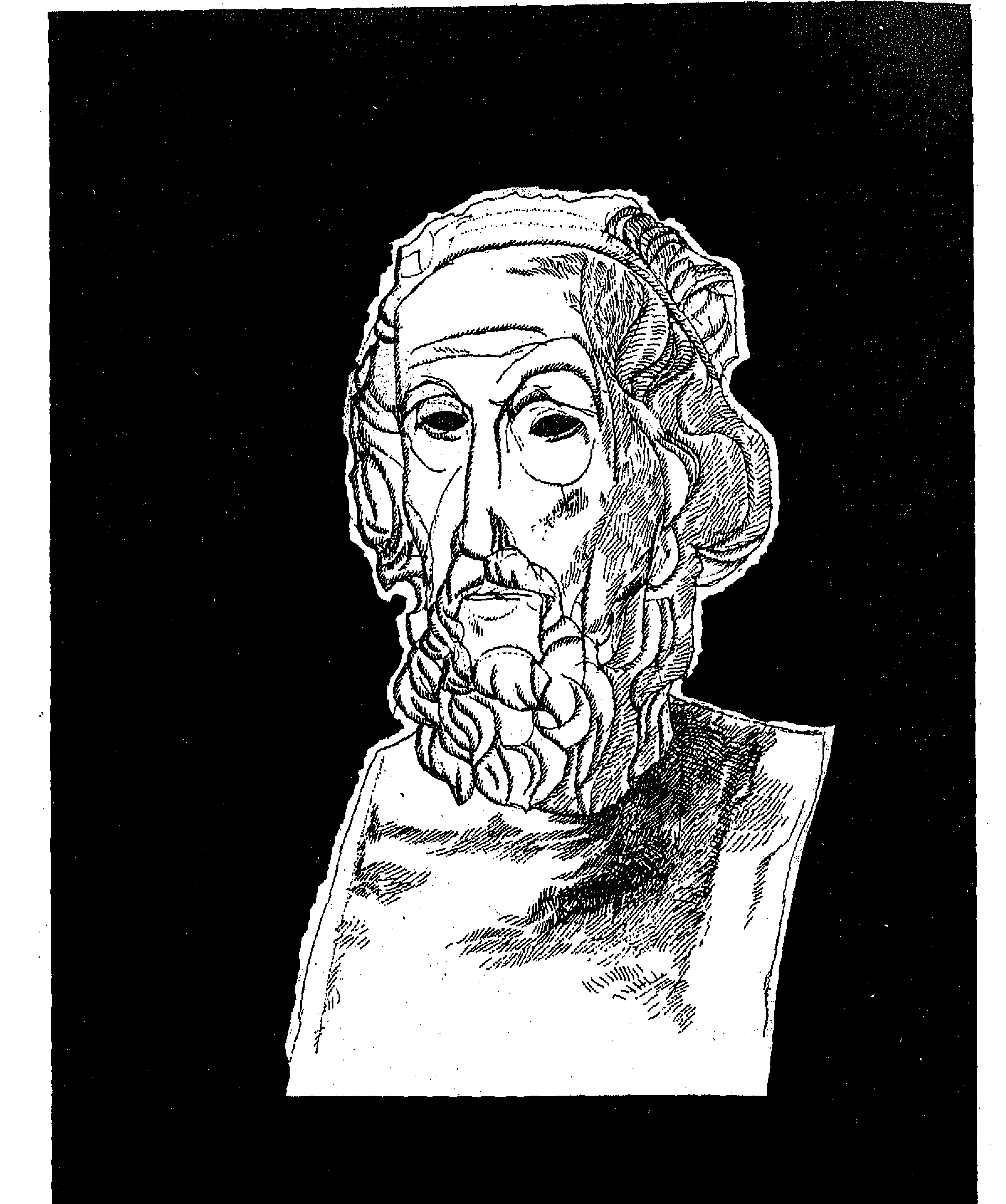
قال أرستوفانز : حسناً ، سأفعل ما تشير به ، وامض أنت فى حديثك .

فقال أريكسماخوس ، لم ينته بوزيناس إلى نتيجة مرضية مع أنه بدأ بداية رائعة ؟ . سأتم أنا ما بدأ، فقد أصاب بوزيناس فى التفرقة بين نوعين من الحب . لقد أقنعتنى تجاربى الطبية أن الحب لا يقتصر تأثيره فى الروح وفى الغلمان الملاح ولكنه يمتد بتأثيره إلى ميادين أخرى كأجسام الحيوانات والنباتات ، بل إنه يمتد تأثيره إلى كل شىء تقريباً ، فالحق أن الحب إله عظيم وعجيب تمتد قدرته إلى كل مكان ، ويطوى تحت جناحيه دُنى الآلهة والبشر جميعاً .

سأبدأ بالطب لأظهر احترامى لمهنتى ، يتطلب تركيب الجسم نوعين من الحب ؟ . فالجسم الصحيح يختلف عن الجسم المريض ، والحب يختلف باختلاف الأشياء ، فالحب الذى يعمل فى الجسم السليم يختلف عن الحب الذى يؤثر فى الجسم المريض . والحق أننا عند ما نتأمل جسم الإنسان نجد شبهاً لما قاله بوزنياس منذ هنيهة ، فكما أن الإكبار والعار يترتبان على الخضوع لرجل فاضل أو لرجل سيء الخلق ، فكذلك يجب على الطبيب الماهر أن يشبع حاجة الأعضاء السليمة من الجسم ويحرم الأعضاء المريضة ، هذا هو وظيفة الطب ، وهو بالاختصار العلم بمبادىء الحب وهى تعمل فى جسم الإنسان من حيث الامتلاء والإفراغ ؛ وأحذق الأطباء هو الذى يستطيع التمييز بين الحب السامى والحب الخسيس الذى يؤثر فى الجسم ، ويستطيع أن يحل السامى محل الخسيس ، وكما يستطيع أن يغرس الحب فى الجسم الذى يفتقر إليه ويحتاجه ، وينزع الحب الفاسد إذا وجده ، ويوائم بين العناصر المتنافرة يربط بينها برباط الحب ، والعناصر المتنافرة هى الأضداد : الحار والبارد ، والرطب واليابس وأشباهها . ولقد أوجد أسكلبيوس (١٥)

الطب بمعرفته كيف يقيم الحب والانسجام بين تلك العناصر المتنافرة كما يروى لنا الشعراء .

وأقول مرة ثانية إن الحب يخضع لهذا الإله كل الخضوع ، كما يخضع له أيضًا فنون التربية البدنية والفلاحة ، والموسيقى ، ومن يعر المسألة أدنى اهتمام يدرك أن الموسيقى خاضعة له تمام الخضوع . ومن الجلى أن هذا ما عناه هيرقليطس (١٦) عند ما تكلم عن الوحدة التى يكون بينها من الاتفاق بقدرما يكون من التباين والاختلاف ؛ وإن خانه التعبير وأساء القول . وكما يحدث عند ما تضرب على القيثارة فلا يصح بديهيًا أن نقول إن المؤتلف مختلف أى أنه يتألف من عوامل كانت من قبل مختلفة ثم أصبحت بفضلها مؤتلفة وهى أصوات الرجال وأصوات النساء ، ولا يمكن أن يتآلف صوتان ما داما مختلفين إذ يستحيل أن يوجد نوع من الاتفاق بين عناصر متنافرة ما دامت متنافرة ، ، ولكن يمكن أن يقوم انسجام أو تناغم بين ما هو مختلف ومتنافر كما يحدث فى النغم من مزيج من السريع والبطىء ، ومن عناصر كانت فى الأصل متنافرة . والموسيقى تخلق التناغم بين هذه العناصر بفضل الحب كما يفعل الطب فى ميدانه ، ولذلك يمكن تعريف الموسيقى بأنها العلم بمبادىء الحب فى ميدان الهارمونى والنغم ، وليس ثمة صعوبة فى إدراك الحب وهو يعمل فى التركيب الفعلى للهارمونى ، ولا شأن لنا هنا بنوعى الحب ، ولكن عند ما نتناول تأثير الموسيقى فى الإنسان سواء كان واضعها أو غيره ، والاستعمال الصحيح للأغانى والأناشيد فى التربية فهنا تعترضنا صعوبات لا يتغلب عليها إلا فنان قدير . ونعود إلى رأينا القديم أن الحب الذى يعمر قلوب خيار الناس والذى ينبغى إرضاؤه والمحافظة عليه وغايته تهذيب من هم فى حاجة إلى تهذيب ، ذلك هو الحب النبيل السماوى الذى ينسب إلى الربة السماوية « أورانيا » ؛ ولكن ثمة — كذلك — الحب الخسيس الدنىء الذى ينسب إلى بوليهيمنيا . وليحذر من يشاء استخدام هذا الضرب من الحب أشد الحذر فى اختيار من يريد استخدامه معهم حتى يحصل على ما يشاء من لذة من غير أن ينحرف إلى التضليل والإغواء ويميل عن سواء



هوميروس

السبيل . وأضرب المثل من مهنتى ، فالمعروف أنه ليس بالأمر الهين التغلب على شهية الناس للطعام الدسم حتى يحصلوا على اللذة ، من غير أن يلحقهم أذى . فينبغى إذاً أن يكون الحب بنوعيه خاضعاً لرقابة صارمة سواء فى الموسيقى أو فى الطب أو فى أى ميدان آخر يتصل بالإنسان أو بالآلهة .

هذا ، وقد رتبت فصول السنة بحيث يظهر تأثير الحب بنوعيه ؛ فإذا ما تغلب الحب النبيل على العناصر المتنافرة ، الحار والبارد والرطب واليابس وربطها برباطه ومزجها بنسب متعادلة نما الإنسان . والحيوان ، وازدهر النبات ؛ ولكن إذا ما سيطر الحب الدنىء على الفصول عم البلاء ، وجاء القحط والجدب ، وشاعت الأوبئة ، وتفشت الأمراض ؛ وذلك لأن هذا الحب يمزج العناصر بنسب غير متعادلة فيجىء مزيجها مضطرباً ، وخليطها مفككاً ، وموضوع علم الفلك هو دراسة تأثير الحب فى الفصول والنجوم .

أضف إلى هذا ، الأعمال والشعائر التى تشتمل عليها العرافة (وهى تشمل العلاقات بين الآلهة والبشر) ، فتلك الأعمال والشعائر تتجه إما إلى الإبقاء على الحب أو التخلص منه .

والخطيئة بضروبها المختلفة إن هى إلا إشباع الحب الدنىء بدلاً من الحب النبيل بأى فعل من الأفعال سواء كانت هذه الأفعال تمس الدين أو تمس الآلهة . فالعرافة تنبىء بنوع الحب المؤثر وتقوم بالعلاج إذا احتاج الأمر إلى علاج ، فهى التى تقيم الصلات الطيبة بين الآلهة والبشر لأنها تفهم مبدأ الحب الذى ينبثق من الحياة الفاضلة وخشية الآلهة .

فها أنتم ترون أن الحب ذو سلطان شامل متعدد الجوانب ، وهو الحب الذى تسمو غاياته ، ويكون تحقيقه مصحوباً بالوقار والفضيلة سواء كان ذلك فى السماء أو على الأرض ؛ فسلطانه فوق كل سلطان ، وقوته فوق كل قوة ؛ هو منبع كل سعادة ومصدر كل خير ، وهو الذى ييسر لنا أن نحيا مع غيرنا فى

وانسجام . ومع الآلهة كذلك . هذا ما أردت أن أمدح به الحب ، ولعلى قد أغفلت بعض الأمور على غير علم منى فإذا كان حدث هذا فعليك يا أرستوفانز أن تسد الثغرات التى تخللت حديثى ما لم تكن قد رسمت لنفسك نهجاً جديداً تمدح به الإله . والآن هيّا إلى الكلام وقد جاء دورك وتخلصت من الفواق .

* * *

وصلنا إلى حديث أرستوفانز الذى رواه لى أرستديموس على النحو التالى :

أجل ، تخلصت من الفواق ولكن ليس قبل أن ألجأ إلى علاج العطسة ، وإنى لأعجب أهو الحب الرفيع فى جسمى هو الذى يرغب فى سماع صوت العطسة ، والتلذذ بالأحاسيس المصاحبة له . وعلى أى حال فقد انقطع الفواق على إثر العمل بنصيحتك .

قال أريكسماخوس : يا عزيزى أرستوفانز ألق بالك إلى ما تقول ، وإذا كنت ترمى إلى إضحاكنا فسأضطر إلى الانتباه إلى أفاكيهك حتى لا تفلت منى .

أجاب أرستوفانز : صدقت يا أريكسماخوس ، وإنى أعتذر عما بدر منى ، ولكن لا تهتم بما سأقوله كل هذا الاهتمام ، ولست أكره أن أثير ضحككم فهذا مما يتفق مع طبيعة الإله الذى نمدحه ولكننى أكره أن يجىء كلامى غامضاً

قال أريكسماخوس : أتحسب أنك تلقى بملحك وتتنصل من تبعاتها ، فلتحذر إذن واذكر أنك ستحاسب على ما تقول ! .

قال أرستوفانز : حسناً ياأريكسماخوس وأصارحك أنى أنوى أن ألتزم منهجاً غير الذى التزمته أنت وبوزنياس من قبلك ، فيلوح لى أن الناس لا يدركون قوة الحب وسلطانه وإلا أقاموا له أضخم المعابد ، وقدموا له أعظم القرابين ؛ ولكن ليس له شىء من هذا مع أنه جدير به وأكثر منه ، فهو أشفق بالناس من أى إله آخر ، وهو يخلصهم من الأوصاب التى تسبب لهم الشقاء والبؤس ، ولولاها لعاشوا فى سعادة ودعة ، وسأجتهد أن أطلعكم على سر

قوته وتطلعون أنتم غيركم عليه وتدلونهم عليه .

يجب أن تعلموا أولا شيئًا عن تركيب الإنسان وهيئته وما طرأ عليهما من تغيير وتبديل . فالإنسان كان يختلف تركيبًا وهيئة عما هو عليه الآن . وكان فى الزمان الأول يوجد أجناس ثلاثة لا اثنان : امرأة ورجل وخنثى ، وهو الجنس الثالث المشترك بين الذكر والأنثى وليس للجنس الثالث أثر الآن غير اسمه ، فالخنثى كان جنسًا يختلف عنا فى التركيب والهيئة كما يختلف عنا فى الاسم ، وكان يجمع بين خصائص الرجل والمرأة ، قلنا إن ذلك الجنس انقرض ولم يبق منه غير اسمه الذى نستعمله الآن للتحقير . كان الكائن الأول وحدة كاملة ، فكان ظهره وجنباه مستديرين فهو على هيئة كرة ، له من الأيدى أربع ومن الأرجل كذلك ، وله وجهان متشابهان ركبا فى رقبة مستديرة ، والوجهان رأس واحد يدور فى جميع الجهات ؛ والوجهان : وجه من خلف والآخر من أمام . وله أربع آذان ، وجهازان للتناسل ، أى أنه كان له من كل عضو ما يقابله .

كانت تلك المخلوقات تمشى منتصبة مثلنا ، إلى الأمام وإلى الوراء وإذا جرت استعملت أطرافها الثمانية وتدحرجت على الأرض كالكرة أو كالبهلوان الذى يقلد سير العربة . وعلة وجود أجناس ثلاثة أنها اختلفت باختلاف مصدرها ، فالذكر جاء من الشمس وانبثقت الأنثى من الأرض ، أما الخنثى فقد صدرت عن القمر . والقمر — كما هو معلوم — يشارك الأرض والشمس طبيعتهما . فتلك المخلوقات كانت على التدوير كالأصول التى صدرت منها . وكانت تلك المخلوقات من القوة والبأس مما جعلها مخيفة مهولة ، فركبها الغرور حتى هاجمت الآلهة ، ويروى عن تلك الكائنات ما رواه هوميروس عن الاوتيس والايفليتس [١٧] وكيف أنها حاولت أن ترقى إلى السماء وتهاجم الآلهة .

تذاكر زيوس أمر تلك المخلوقات مع الآلهة ، وما عسى أن يفعل معهم أو بهم ، وطالت حيرة الآلهة لأن زيوس كان يكره أن يقتلهم بالصواعق كما فعل بالجبابرة خوفاً من فناء البشر فيحرم من عبادتهم له إلى الأبد ، ولم يشأ كذلك أن يتركهم فى غيهم سادرين ؛ وبعد أن فكر ودبر وأطال التفكير والتدبير خطرت له فكرة صائبة فقال : أحسب أنى اهتديت إلى حل ينقذ الجنس البشرى من الفناء ، وفى نفس الوقت يضع حداً لغيهم وشرهم ، وسأشطر كل مخلوق شطرين فيصير أضعف مما كان ويتكاثر عدد البشر وإذا ما ظلوا على غيهم بعد ذلك سأنظر فى شطرهم مرة ثانية حتى يظلوا على قدم واحدة ، وعلى أثر هذا شطر زيوس كل مخلوق شطرين متساويين كما تشطر البيضة بشعرة . وكان كلما شطر الواحد منهم أمر الإله الأكبر أبولو أن يدير الوجه ونصف الرقبة الملتصق به ناحية الجانب المشطور حتى ترى الضحية علامات الشطر ماثلة أمامها فتستكين للآلهة ، ولا تعاود سيرتها القديمة . وأمر أبولو أيضاً أن يعالج الجروح حتى تلتئم . فأدار أبولو الوجوه ، وجمع الجلد وضمه بعضه إلى بعض كما تضم الأوتار وجعله فى جوف الإنسان ، وربطه ربطاً محكماً فى الجوف حوله فتحة واحدة نسميها « السرة » وأزال كل أثر للتجعيدات الكثيرة ، وساوى الصدر بآلة كالتى يستخدمها الدباغون فى تسوية الجلد . ولكن أبولو ترك بعض التجاعيد على البطن حول السرة ليتذكر الإنسان ما كان عليه ، وما حدث له فيرعوى .

وعقب شطر الإنسان الأول شطرين أخذ كل شطر يبحث عن شطره الآخر فإذا التقى شطر بشطره تعانقا بقوة لكأنما يريدان أن يعودا كائناً واحداً ، وظلا متعانقين حتى يهلكا جوعاً وليس فى وسعهما أن يفعلا غير ذلك ، ولا أن يفعلا شيئاً وهما منفصلان . وإذا مات شطر قبل الآخر سعى الثانى إلى شطر جديد والتصق به سواء كان

الشطر الجديد شطراً من امرأة أو من رجل . حدث هذا حتى أشرف الجنس البشرى على الفناء لولا أن امتدت إليه رحمة زيوس ، فاهتدى إلى فكرة جديدة بأن جعل أعضاء المخلوقات التناسلية من أمام وكانت من قبل ظاهرة فكان التناسل يتم بالقذف على الأرض كما هو شأن الجنادب ، فأمكن بذلك أن يتم التناسل باتصال الذكر بالأنثى كما هو الحال الآن . ورمى زيوس بذلك إلى أمرين : حفظ النسل باتصال الذكر بالأنثى ، والثانى إشباع الرغبة فى الاتصال حتى لو اتصل ذكر بذكر لكى ينصرف الناس إلى أعمالهم الأخرى ، وتدبير معاشهم فلا يهلكون ، فولد الحب فى ذلك العصر السحيق ، ولد الحب الذى يحسه الناس بعضهم لبعض ، الحب الذى يعيدنا إلى حالتنا الأولى لأنه يجعل من الشطرين المنفصلين كائناً كاملاً ، فتندمل الجروح التى لا يزال يئن منها البشر .

كل منا إذن شطر من كائن كامل ، وكل منا يبحث دائباً عن شطره الآخر . والذكور الذين انشطروا عن الخنثى (الكائن المشترك) يعشقون النساء ويهيمون بهن ، والزناة من هؤلاء ، وكذلك النساء اللواتى يعشقن الرجال ويتهالكن عليهم . والنساء اللواتى انشطرن عن أنثى يعشقن بنات جنسهن ، ولا يأبهن للرجال ، أما الأشطار الذكور وهم أنصاف ذكر فيميلون إلى الذكور دون سواهم ويسرهم القرب منهم بل والاتصال بهم ، وهؤلاء خير من لداتهم منذ حداثتهم ، تتوافر فيهم خصال الرجولة أكثر من غيرهم ، ويرميهم البعض بالوقاحة والصفاقة ، ولكنهم جد مخطئين ؛ فليست الصفاقة هى التى تدفعهم إلى أعمالهم ، ولكنها الفتوة وروح الرجولة العالية القوية تدفعهم إلى مصادقة أندادهم وأشباههم ، وآية هذا أنهم عند ما يبلغون مبلغ الرجال تصير إليهم مقاليد الشئون العامة دون سواهم . وتراهم يهيمون بالغلمان وإذا تزوجوا فإنهم يتزوجون مكرهين غير مختارين وأنهم يفضلون

أن يبقوا عزاباً . وصفوة القول أن هؤلاء الصنف من الرجال يعشقون وهم بعد صبية، ويعشقون وهم رجال، يعشقهم الذكور ويعشقون الذكور لأنهم إنما يميلون دائماً إلى أندادهم وأشباههم .

وإذا ما التقى محب بشطره سواء محب الغلمان أو غيره أوجد فيه الحب والتعاطف والشعور بالقرابة ، عاطفة قوية غلابة ، فلا يفترق المحبان ولو إلى لحظة قصيرة ، وأمثال هؤلاء ينشئون علاقات تدوم ما دامت الحياة ، ولا يبغون من وراء صداقاتهم مغنماً ولا كسباً ، ولا يستطيع أحد أن يزعم أن اللذة الجنسية هى وحدها التى تحقق لهما السعادة ما داما معاً إذ يكمن فى أعماقهما شوق ليس من السهل الإبانة عنه ، ولا حتى الدلالة عليه وإن عبروا عنه فى كثير من الغموض والإبهام .

فلنفرض أن هيفستيوس زارهما وهما نائمان معاً وهو يحمل آلاته وأدواته ووقف يسألهما : أيها البشر الفانون ، ماذا يبغى الواحد من الآخر ؟ ولنقل إنهما يعجزان عن الرد فيلقى عليهما السؤال فى صيغة أخرى ، فيقول : هل يكفيكما أن تلتقيا وتجتمعا أطول مدة ممكنة ، ولا تنفصلا أو تفترقا ليلا ولا نهاراً ؟ . إن كان هذا ما ترغبان فيه وتصبوان إليه فإنى قادر على صهركما ومزجكما كائناً واحداً بدلا من اثنين فتحييان أبداً حياة واحدة، وإذا حان حينكما فإنكما تموتان معاً فى وقت واحد ، وتعبران إلى الحياة الأخرى وأنتما شخص واحد ، أتبغيان هذا المصير الذى يحقق لكما ما تصبوان إليه ؟ . ونحن نعلم ما يكون جوابهما ، فلا يسعهما إلا القبول مع الشكر والامتنان . فمن الجلى أن هذا ما يرغب فيه الجميع ويرون فيه تعبيراً دقيقاً عن رغبة دفينة يحسون بها ، ولكنهم يعجزون عن التعبير عنها . أعنى أن المحب يتحد بمحبوبه ويفنى فيه فيصير المحب والمحبوبة شخصاً واحداً ؛ وعلة ذلك أننا كنا أصلا كائناً واحداً ،

وليس الحب إلا تعبيراً عن الشوق إلى العودة إلى الأصل ، ووسيلة ذلك ، فنحن أصلاً كائن واحد أغرى ما ركب فينا من غرور زيوس أن يشطرالكائن منا شطرين كما شطر أهل أسبرطة مدينة الأركاديين (٢٨) شطرين ؛ ولدينا ما يولد فينا الخوف إن لم نسلك بما يرضى السماء نشطر مرة ثانية كما يشطر حجر النرد إلى نصفين ، ونصبح على هيئة المخلوقات التى صورت على القبور صوراً جانبية ، فنشطر نصفين من أعلى إلى أسفل . فوجب علينا — لذلك — أن نحسن السيرة أمام الآلهة حتى نتقى مصيراً أسوأ من مصيرنا السابق ، وحتى نستطيع أن نفوز بنعم الحب إذا ما اتخذناه إماماً وهادياً . ولا يجدر بأحد أن يعارض الحب وإلا أثار غضب الآلهة عليه . ونحن إذا جعلناه صديقاً لناوهادياً وفقنا كما وفق القليل هنا فى العثور على الشخص الذى نحبه ، وهو من بنى قرابتنا بكل معنى الكلمة . إنى أعلم أن أريكسماخوس حريص على أن ينال منى بسخريته ، ولكنى لا أحسبه يزعم أنى إنما أعنى بكلامى بوزيناس وأجاثون ، ولعلهما من غير شك ، ينتميان إلى تلك الطبقة لأن كليهما شطر ذكر كامل ، ولكنى أعنى الرجال والنساء عامة عندما أقول إن سبيل البشر إلى السعادة هو فى تحقيق وصايا الحب ، وأن يجد الواحد منا شريكه الذى يحتمل أن يكون شطره الثانى ؛ وبالجملة العودة إلى حالتنا الأولى ، وما دامت حالتنا الأولى خيراً من حالتنا الراهنة فخليق بنا أن ندنو منها ونحققها على قدر ما تسمح به ظروفنا ، وسبيلنا إلى هذا أن نجد ذلك الشخص الذى يكون أهلاً لحبنا أنيساً عطوفاً .

إذا كان علينا أن نمجد الإله الذى يحقق لنا كل هذا فلنوجه مدحنا إذاً إلى الحب ، فالحب وحده هو الذى يحقق لنا السعادة فى هذه الحياة الدنيا ، لأنه يرشدنا إلى من هو قريب منا ، مرتبط بنا وهو الحب الذى يعيدنا إلى حياتنا الأولى فتندمل جروحنا ، وتتم سعادتنا إن نحن

أرضينا آلهة السماء بسلوكنا القويم وخلقنا الرضى .

هذا هو حديثى عن الحب يا أركسماخوس . وأنت ترى أنه يختلف عن حديثك اختلافاً بيناً ، وتذكر رجائى ولا تتهكم علىّ . أو تسخر منى ، بل دعنا نسمع ما يقوله الآخرون ، وحرى أن أقول الآخرين إذ لم يبق غير أجاثون وسقراط .

قال أريكسماخوس : سمعاً وطاعة ، لا أنكر أن حديثك أقنعنى وأمتعنى ، والحق أنى لولا علمى أن سقراط وأجاثون ثقتان فى هذا الموضوع لأشفقت عليهما ورثيت لموقفهما بعد أن استنفد المحدثون كل ما يمكن أن يقال عن الحب ، ولكن ما داما هما من هما فإنى لا أزال أثق فيهما وأنتظر منهما الكثير .

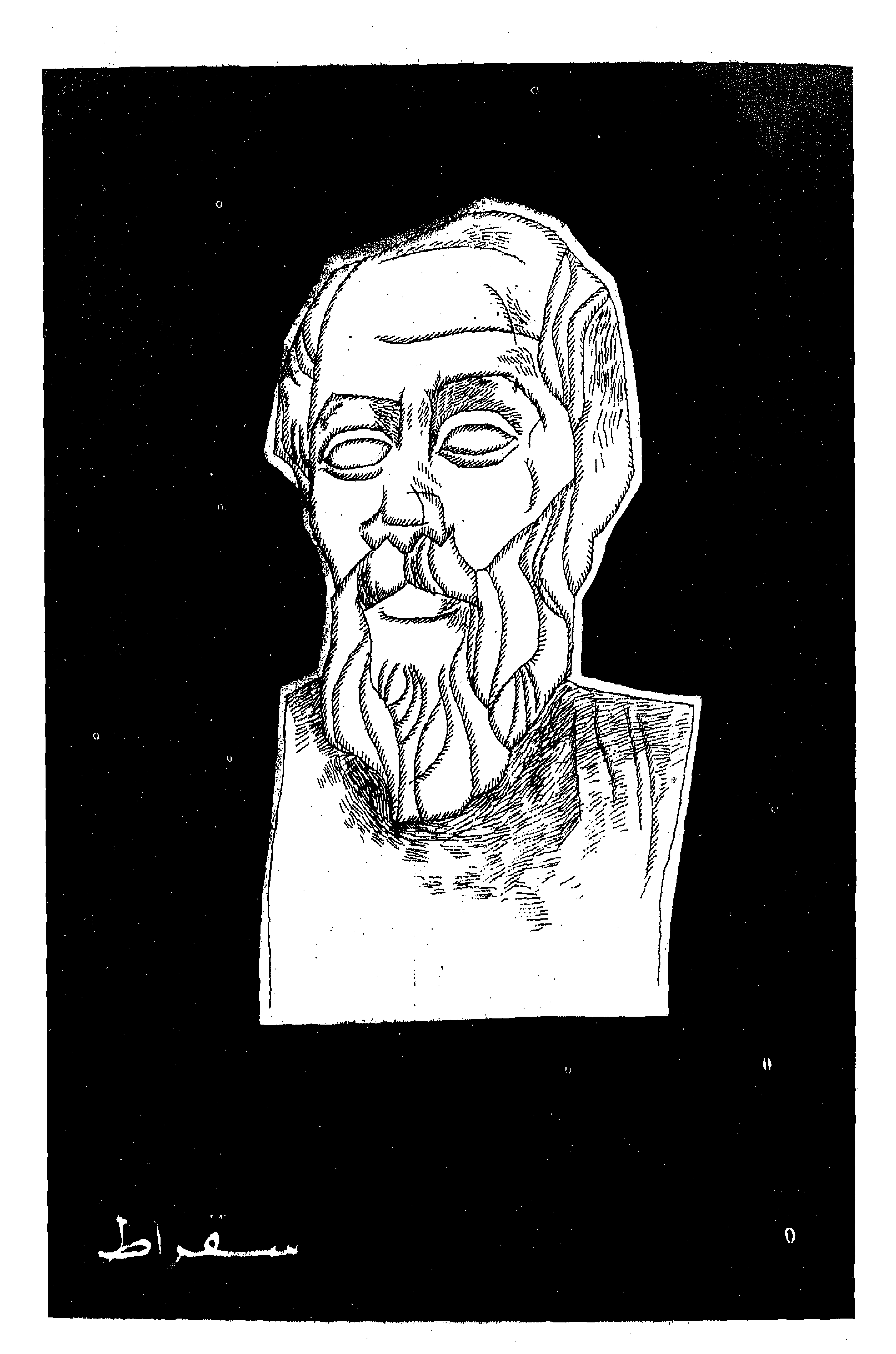
قال سقراط : هذا جميل منك يا أريكسماخوس ، لقد أديت واجبك ، ولكن لو كنت مكانى وخاصة بعد أن يفرغ أجاثون من حديثه فيبدع ويمتع ، ويصول ويجول ، لو كنت مكانى لهلعت وفزعت وبان جزعك كما هو شأنى الآن .

قال أجاثون : إنك تبغى أن تؤثر فىّ يا سقراط ، تريد أن توقعنى فى حيرة واضطراب ، بأن توهمنى أن الحاضرين ينتظرون الكثير من بلاغتى .

قال سقراط : لو أننى توهمت ، يا عزيزى أجاثون ، أن حفنة من أمثالنا تفت فى عضدك وتربكك ، لو توهمت ذلك إذن أكون قد نسيت ما رأيت من شجاعتك ، وعلو همتك عند ما ظهرت على خشبة المسرح مع الممثلين قبل تمثيل مسرحيتك ، وواجهت جمهور المتفرجين فلم يظهر عليك ما ينم عن وجل أو اضطراب .

قال أجاثون : ولكن أخالك تزعم أن المسرح أضلنى بحيث لا أعلم أن العاقل خليق أن يرهب قلة من الحكماء ، ولا يأبه لجمهور من العامة البلهاء .

أجاب سقراط : أرانى قد أخطأت إن أنا قللت من قدرك ، وهونت من


سقراط

عقلك يا أجاثون ، وطبيعى أن تحفل بالحكماء ولا تقم وزناً للدهماء ، ولكنى أخشى ألا نكون نحن من الحكماء الذين عنيت ، وأنت تعلم أننا كنا فى المسرح مع جمهور العامة الدهماء ، وأياً كان الأمر فإذا قدر لك والتقيت ببعض الحكماء فلعلك تستحق أن تفعل ما ليس جديراً بثقتهم ، حقيقاً بتقديرهم . ألست ترى ذلك ؟

أجاب أجاثون : بلى ! .

قال سقراط : ولكنك لا تستحي من العامة فى نفس الظروف ؟ وهنا تدخل فيدرس وقال لأجاثون : لا تجب سقراط يا عزيزى أجاثون ، فهو لا يهتم بما أجمعنا عليه واجتمعنا له ، ما دام يجد شخصاً يحاوره ويداوره وخاصة إذا كان وسيماً قسيماً ، وإنى جد حريص على الاستماع إلى سقراط ، ولكن واجبى فى هذه الآونة أن أرعى حق الحب أولا وقبل كل شىء وأن أرى كلا منكما يسوق حديثاً تمجيداً له .

قال أجاثون : صدقت يا فيدرس ولاشىء يمنعنى من إلقاء حديثى وستتاح لى فرص كثيرة لحوار سقراط .

أريد أولا أن أحدد المبادئ التى أتبعها فى حديثى ثم أسوق حديثى ذاته ، فإنى أرى أن من قبلى عنوا بالسعادة التى يصيبها الإنسان بفضل الإله الذى يسبغ عليهم الخير الكثير ، ولم يمجدوا الحب نفسه ، فأحد منهم لم يذكر لنا أى جنس من الكائنات هو ذلك الإله ، مع أن النهج الصحيح فى نظم المدائح هو أن نتبين طبيعة الممدوح ثم نتكلم عن آثاره النافعة ، ذلك هو النهج الصحيح لتمجيد الحب ؛ نصف أولا طبيعته ثم ننتقل إلى الكلام عن آثاره وهباته — وأقول إن الحب لهو أسعد الآلهة . وإن كانت جميعها سعيدة (إن جاز لى أن أقول هذا دون أن أثير غيرة السماء) وهو أيضاً أجمل الآلهة وخير الآلهة ؛ وهو أجملها للاعتبارات التالية : هو أولا يا فيدرس أصغر الآلهة ، والحب يقيم الدليل على هذا بفراره من الشيخوخة ؛ فمن شأن الحب أنه يبغض الشيخوخة أو هو على الأقل لا يصحب

الشيخوخة زمنًا طويلا . وهو ينفق عمره كله فى صحبة الشباب ؛ والمثل القديم يقول والطيور على أشكالهاتقع . وإنى أوافق فيدرس على كل ما قاله فيما عدا قوله بكبر الحب أو قدمه . فهو على العكس أصغر الآلهة ، ولا يزال فى نضارة العمر وريحان الشباب ، وما يرويه هيزيود وبارمنيدس عما حدث فى السماء من فوضى واضطراب إنما ينبغى أن ينسب إلى الضرورة لا إلى الحب، هذا لو صدقت روايتهما ، ولا يمكن أن يقع بين الآلهة شىء من أعمال العنف أو التعذيب لو كان الحب قديمًا بينهم ولوكان معهم لحل السلام محل الخصام ، ولربط بينهم بأواصر الصداقة كما هو شأنهم منذ أن حل الحب بينهم .

الحب إذن صغير ، وهو أيضًا مرهف الحس ، رقيق الشعور لا يحتمل الشدة ، ولا يطيق المكروه ، ونحتاج إلى هوميروس آخر ليصور لنا مدى رقة الإله ولطفه . ولقد وصف هوميروس الشبع لا بالإلوهية وحسب ، بل وبالرقة أيضًا فلها على ما يقول قدمان رقيقتان خفيفتان فهو يقول :

وقدماها رقيقتان فلا تطأ بهما

الأرض ، بل تخطو بخفة على هام البشر

وعندى أنه صور بدقة رقة الآلهة ، ويمكن استخدام كلامه فى تصوير رقة الحب ، وهو لا يطأ الأرض ولا حتى هام البشر ، بل يحيا ويتنقل فى أرق الموجودات ؛ إنه يحيا فى أرواح الناس وقلوبهم . وهو لا يسكن الأرواح كافة لأنه إذا وجد غلظة فيها نفر منها وابتعد عنها . فهو لا يطيب له العيش والمقام إلا حيث يجد اللين والرقة والدعة والخضوع ، وهو اذ يجد هذا لا يلتصق بقدميه وحسب بل بوجوده كله ، ويلزم من هذا أن لا حد لرقته ، ولا نهاية للطفه .

والحب ، الى حداثته ورقته ، وديع لين الجانب ، فلو أنه كان فظًا غليظًا تراه يستطيع أن يأتلف مع كل شىء ، رشيقًا خفيفًا فى التسلل إلى النفوس

والانسلال منها ؟ . أما عن لطافة حسه ولين جانبه ، ووداعة خلقه فلا أحد ينكر عليه ذلك ، إذ الفظاظة والغلظة غريبتان عن الحب كل الغرابة . فالحب لطيف وديع متناسب الأجزاء ، ويكشف لنا ذلك حسن صورته ، وجمال شكله . ولطف تركيبه ، وآية ذلك أنه لا يحيا إلا بين الزهور ولا يقيم فى مكان أو جسم وروح إلا جعله مزدهياً يافعاً ، وحيثما يجد مكانا يفوح بعبير الأزهار يقيم ولا يريم .

وإنى وإن كنت أغفلت بعض الأشياء فحسبى ما قلت لتصوير جمال ذلك الإله ، وأنتقل إلى الكلام عن فضله وخيريته ، وأقول يكفى للإبانة عن هذا فيه أن الحب لا يضر ولا يضار سواء فى اتصاله بالآلهة أو بالبشر ، وإذا امتنع عن دفع العنف بالعنف فذلك لأن العنف لا يمكن أن يمس الحب . وإذا ما نشط فلا يلجأ إلى العنف ، لأن كل امرئ مستعد لأن يطيع الحب فى كل ما يأمر به ويحبب إليه . وإذا ما أذعن الجميع وتم الاتفاق والتراضى ساد العدل على نحو ما تأمر به القوانين وهى سيدة المجتمع .

هذا ، والحب يتحلى بالعفة وضبط النفس ؛ وضبط النفس هى القدرة على كبح اللذات والرغبات ، وليس ثمة ما هو أقوى من الحب فإذا كانت اللذات أضعف منه لزم أن يكون الحب هو السيد الآمر المطاع ، وأن تكون اللذات هى التى تخضع وتخنع ، وما دام الحب سيد اللذات والرغبات معاً فلا بد أن يتحلى بالعفة وضبط النفس وكبح جماحها .

أما عن شجاعته فالحب تفوق على مارس إله الحرب ، فلم يكن مارس هو الذى أسر الحب ، بل الحب هو الذى آسر مارس ، وهو حب فروديت كما تروى الأساطير ، والآسر متفوق على الأسير ، وآسر أشجع الكائنات لا بد أن يكون أشجع الكائنات قاطبة .

حسبى ما قلت عما يتحلى به الإله من عفة وشجاعة واستقامة خلق ، فلأنوه عن حكمته وسأجتهد أن أوفيها حقها من الإشادة والتنويه ، وإذا ما آثرت مهنتى كما آثر أريسكماخوس مهنته فأقول إن الحب شاعر ، ويستطيع أن يلهم الناس الشعر ، وكل من مسه

الحب بيده أصبح شاعراً حتى لو لم يكن قد نظم بيتاً واحداً من الشعر من قبل . ويكفى هذا دليلا على أن الحب مبرز فى كل فن من الفنون ، قادر على الخلق والإبداع ؛ إذ كيف يستطيع من لا يملك فنًّا أن يلقنه غيره ، ولا ينكر أحد أن خلق الكائنات ، وإبداع المخلوقات إنما هو أثر من آثار حكمته ، فمنه كل حى صدر وبه كل حى ينمو ويزدهر . وهو رب الحرف جميعها فمن تتلمذ له سعت إليه الشهرة ، أما الذى يظل بمنأى عنه فلا يزال مغموراً خاملا. ولقد اكتشف أبولو بإرشاد الحب فنون الرماية والطب والعرافة حتى ليحق أن نسميه تلميذ الحب ، شأنه فى ذلك شأن العرائس فى الشعر ، وهيفستيوس فى الحدادة وأثينا فى النسيج ، وزيوس فى حكم الآلهة والبشر . وكان مولد الحب ؛حب الجمال ، فلا يمكن أن ينسب الحب إلى القبيح ، كان مولده إيذاناً بزوال الشقاء والألم من بين الآلهة إذ كانت السماء مسرحاً لأحداث فظيعة ، فكما قلنا من قبل كانت الضرورة العمياء هى المسيطرة ، ولكن ما إن ولد ذلك الإله حتى منح حب الجمال الخير والبركات للآلهة والناس أجمعين.

وعندى يا فيدرس أن الحب فى ذاته بارع الجمال فائق الخير وهو علة الجمال والخير فى غيره ، وأحس أنى ألهمت أن أنظم هذه الفكرة شعراً فأقول إن الحب هو الذى يخلق :

السلام بين الناس ، والسكينة للبحر
وهدوءاً للريح الهوجاء ، ونهاية لمتاعبنا

والحب هو الذى يزيل ما فى النفوس من وحشة ، ويفعم القلوب بالألفة والصداقة ، وهو الذى جمع شملنا ، وهو الذى يهيمن على الأعياد وحفلات الرقص وتقديم القرابين ، هو الذى يجلب السرور ويزيح الهموم ويمنح ما يمنح فرحاً مرحاً ، سريع الجواب حاضر البديهة لا حد لطيبته ، ولا نهاية لكرمه ، الآلهة معجبون به ،

والناس يصبون إليه ، وهو كنز لمن يسعده الحظ بامتلاكه ، وهو منبع الرقة والكياسة ، ومصدر الشوق والرغبة ، حريص على إسعاد خيار الناس ، غير مبال لما يصيب شرارهم . هو فى العمل خير مرشد ، وعند الخوف خير منقذ ، وفى الرغبة خير صديق ، وفى الحديث خير مؤنس وملهم . واضع النظام فى السماء وعلى الأرض ، أجمل المغنين وأفضلهم يغرى كل إنسان أن يتغنى فى مدحه . وتجده دائماً يسحر ألباب الآلهة والناس جميعاً .

هذا حديثى يا فيدرس ، مزيج رقيق من الخفة والوقار أرفعه إلى الإله واجعله وساماً أرصع به صدره .

روى لى أرستديموس أنه عندما فرغ أجاثون من حديثه أجمع الحاضرون أن الشاعر الشاب قد أجاد بما يتفق مع مكانته . ومكانة الإله . فالتفت سقراط إلى أريكسماخوس وقال :

ــ أتزعم الآن أن مخاوفى لم تكن على أساس صحيح ؟ . ألا ترى أن نبوءتى قد صدقت ، إذ قلت أن أجاثون سيجيد القول وإنى سأكون فى حيرة من أمرى ؟ .

أجاب أريكسماخوس : أصدق أن نبوءتك صدقت فى شطرها الأول ، أما عن حيرتك فلا أصدقك فيها .

قال سقراط : يا سيدى العزيز كيف لا تتولانى الحيرة بعد سماع هذه الخطبة البارعة الرائعة ؟ . وإن كانت مقدمتها لا تستوى مع بعض أجزائها فى الجودة ، ولكن جمال اللفظ وروعة السبك يبهران السامع ويأخذان عليه نفسه. أما أنا فعندما استبان لى عجزى عن مباراة هذه البلاغة فضلا عن السمو إلى مستواها العالى ، كدت أن أركن إلى الفرار خجلا واستحياء ، ولكن أين المفر ؟ . ولقد ذكرنى خطاب أجاثون بجورجياس ، وصرت كالرجل الذى ذكره هوميروس وأشفقت أن يسلط على فى النهاية رأس جورجياس [٢٠] الجورجونى المخيف فيخرس لسانى ويتركنى كالحجر الأصم الأخرس .

ولقد وضح لى وقتئذ أنى معتوه إذ شاركتكم مدح الحب ، وإن كنت

عليماً بالحب ، ولكنني جاهل بالمنهج القويم فى مدحه ، وكنت من الغباء بحيث زعمت أن خير سبيل هو ذكر الحقيقة فى أى أسلوب مع مراعاة انتقاء اللفظ الملائم ، وتنسيقه تنسيقاً فنياً على قدر الإمكان . وكنت أثق بقدرتى على إجادة القول لأنى عليم بطبيعة الحب ، ولكن استبان لى الآن أن هذا ليس هو المنهج الصحيح فى مدح أى شىء كان . بل ينبغى أن أخلع على الممدوح أجمل الخصال ، وأروع الصفات ، وأحسن المزايا ، سواء كان حقاً يملكها أو لا يملكها ، ولا يغنينا سواء صحت نسبتها إليه أو لم تصح . والحق أن ماطلبتموه منى هو أن نتظاهر بمدح الحب لا أن نمدحه حقيقة ، ولعل هذا يفسر تلك القصص المتباينة التى رويتموها عنه ونسبتموها إليه ، ووصفتم الحب وطبيعته على نحو ما فعلتم لا للخبيرين به ، فهؤلاء لا يجوز عليهم كلامكم ، وإنما قصدتم إظهاره إلى من يجهله على أنه أجمل وأكمل الكائنات ، ولقد جاءت أحاديثكم آية فى البلاغة ، والفصاحة . وكنت أنا أجهل المنهج الصحيح .

ومع ذلك رضيت أن أشارككم الحديث . وأدلو بدلوى معكم ووعدتكم بذلك ولكن الوعد نطق به لسانى (٢١) لا عقلى ، فبعداً لوعدى . فلن أمدح الرب إن كان على أن أنسج على منوالكم وأقتفى أثركم وأحتذى منهجكم ، فهذا ما لاأطيق . فإنى راغب ، صادق الرغبة ، فى قول الحق على طريقتى وبأسلوبى ، إن شئتم قلت ، ولكن لا تعدونى منافساً لكم وإلا كنت أضحوكة الضاحكين وسخرية الساخرين . فما قولك يا فيدرس ، هل يرضيك قولى هذا . أن أسوق حديثاً بسيطاً أبسط فيه حقيقة الحب وتجىء ألفاظه وعباراته من وحى الساعة لا صنعة فيها ولا تعمل ؟ .

فشجعه الحاضرون وفى مقدمتهم فيدرس على أن يتكلم على النحو الذى يراه ويرضاه ، فاستطرد يقول :

إئذن لى يا فيدرس أن ألقى على أجاثون بعض الأسئلة لأحصل على موافقته قبل أن أبدأ حديثى :

فقال فيدرس : لك هذا ، اسأله ما شئت من أسئلة .

قال سقراط : أى أجاثون ، لقد أثرت فى مقدمة حديثك عندما ذكرت أنه يجدر أولاً أن نصف طبيعة الحب الحقيقية ، ثم نتكلم عن آثاره وأعماله ، فليس أحب إلى من أن أبدأ كما بدأت ولكننى أكون شاكراً لو تكرمت فأضفت إلى حديثك الرائع جواب هذا السؤال :

هل من طبيعة الحب أن يكون حب شيء ما ؟ . أو هل يمكن وجوده من غير أن يكون هناك ما يحبه ؟ . ولا أعنى بسؤالى : هل الحب حب أم أو أب معينين ، لأن من العبث أن نسأل مثل هذا السؤال . وأحب أن أوضح ما أعنيه بمثال : إذ لو أخذنا تصوراً معيناً كالأب ، وسألنا : هل الأب يعنى أنه أب لشخص معين أم لا ؟ .

فلك أن تجيب إن أردت أن تجيب بالصواب ، إن الأب يعنى أنه أب لابن أو لابنة أليس كذلك ؟ .

— لا شك فى ذلك .

— كذلك شأن الأم .

— بالطبع .

— لنخطو خطوة أخرى ، وضح ما قصدت . هل يتضمن تصور أخ معنى أنه أخ لشخص معين أم ماذا ؟ .

— لا شك أنه يتضمن .

— وكذلك شأن الأخت ، أليس الأمر كذلك ؟ .

— بلى .

— حسناً ، تستطيع أن تجيبنى الآن : هل يعنى الحب حب شيء ما ، أو هل يوجد حب هو حب للاشيء ؟ .

— من البين أن الحب معناه حب شيء ما .

— لا تدع هذه الفكرة تفلت منك ، الحب إذن هو حب

شيء ما ، والآن أجبني عن هذا السؤال أيضاً وكفى : هل الحب يريد الشيء الذي يحبه أولا يريده ؟ .

— يريده من غير شك .

— هل يريد الشيء الذي يحبه في حالة امتلاكه له أو فقده إياه ؟ .

— لعله يريده في حالة فقده إياه .

— لو فكرت قليلا لدفعت الشك باليقين وقلت : يرغب المرء فيما لا يملك ، ولا يرغب فيما ليس في حاجة إليه ، وهذا جلي ، فما قولك ؟ .

— أرى ذلك .

— حسناً ، هل يرغب العظيم أن يكون عظيماً . والقوي أن يكون قوياً ؟ .

— يلزم مما سبق أن هذا محال .

— لأن من يملك صفة لا يحتاج إليها ، أليس كذلك ؟ .

— بلى .

— هب أن رجلا قوياً أراد أن يكون قوياً ، وأن رجلا سريعاً أراد أن يكون سريعاً ، وإني ، كما ترى ، أزيد الفكرة إيضاحاً لنتجنب الخطأ ، لأن المرء قد يفترض في مثل هذه الأحوال وأمثالها ، أن من يملك صفة أو صفات معينة يرغب فيما يملكه ، ولكنك لو أمعنت الفكر يا عزيزي أجاثون لاستبان لك أن هؤلاء لا بد وأنهم يملكون هذه الصفات في الوقت الحاضر ، أرادوا ذلك أو لم يريدوه ، ولا يزعم أحد أنه يريد ما لا بد منه ، كلا ، إذا قال رجل : أنا غني وأريد أن أكون غنياً ، وإني صحيح وأريد أن أكون صحيحاً ، فما أرغب فيه هو أن تكون لي هذه الصفات التي أملكها .

نجيبه : يا صديقى ، إن ما ترغب فيه ، وأنت تملك الصحة والثروة والقوة ، ما ترغب فيه هو أن تظل تملك تلك الصفات فى المستقبل ، وأنت فى الوقت الحاضر تملكها شئت أو لم تشأ . ألا ترى أنك عند ما تقول إنى أرغب فيما أملك ، تعنى : أرغب أن أظل أملك ما أملك فى المستقبل ، إذا وضحنا له الأمر على هذا النحو فلا شك أنه سيتفق معنا . هذا ما أراه .

قال أجاثون : أجل .

— ولكن معنى هذا أن المرء يحب ما ليس فى إمكانه ولا يملكه ، أعنى استمرار ما يملك المرء فى الحاضر إلى المستقبل .

— بكل تأكيد .

— مثل هذا الرجل وغيره ، يرغب فيما ليس فى وسعه الحصول عليه الآن ، فهو يحب أشياء ويرغب فيها ، ولكنه لا يملكها فى الوقت الحاضر ، وإنما يفتقر إليها .

— هذا صحيح .

— هيا إذن نجمل ما اتفقنا عليه : أولا ، يوجد الحب مضافاً إلى شىء معين ، وثانيًا هذا الشىء ينقص المرء فى الوقت الذى يحتاجه ، أليس كذلك ؟ .

— بلى .

— تذكر الآن ما قلته عن غاية الحب ، أودعنى أذكرك ، قلت إن متاعب الآلهة وآلامها ما زالت إلا بفضل حب الجمال إذ لا يوجد حب القبح ، ألم تقل هذا ؟ .

— بلى . قلته .

— صدقت يا صديقى ، وما دام الأمر كذلك ، فالحب هو حب الجمال لا حب القبح .

— أوافقك على هذا .

— ولقد اتفقنا أن الحب يحب ما ينقصه وما لا يملكه ؟ .

— أجل .

— فالحب إذاً لا يملك الجمال .

— لا بد من ذلك .

— هل يمكن القول أن ما لا يملك الجمال جميل ؟ .

— كلا ، من غير شك .

— إذن ألا تزال تقول إن الحب جميل ؟ .

— يبدو لى يا سقراط أنى لم أكن أعى ما أقول .

— ومع ذلك فحديثك رائع من غير شك ، بقيت نقطة واحدة ألا ترى أن ما هو خير هو بعينه ما هو جميل ؟ .

— بلى .

— إذا كان الحب ليس بجميل وما هو خير هو جميل ، أفلا ترى أن الحب ينقصه الخير أيضاً ؟ .

— لا سبيل إلى معارضتك . هو كما ذكرت .

— لا عليك يا أجاثون ، الحق لا سبيل إلى معارضته أما سقراط ، فليس ثمة صعوبة فى معارضته .

والآن سأدعك فى سلام ، وسأروى لكم حديثاً عن الحب سمعته من امرأة من مانتسا اسمها ديوتيما ، والمرأة صاحبة أعمال جليلة فعندما كان الأثينيون يقدمون من القرابين للآلهة لدفع الطاعون عنهم استطاعت أن تقيهم شره عشر سنين طوال . ولكن ما يعنينا من أمرها أنها هى التى لقنتنى فن الحب ، وسأجتهد أن أروى لكم رواية مفصلة عما قالته لى المرأة مستهلا بما اتفقنا عليه. أنا وأجاثون، فعلى المرء أن يبين طبيعة الحب وخصائصه قبل وصف آثاره ، كما كنت حريصاً أن تذكر يا أجاثون . وإنى ذاكر لكم ما دار بينى

وبين ديوتيما . قلت لها إن الحب إلّه عظيم وجميل ، فواجهتنى بالحجج التى واجهت بها أجاثون ، وأوضحت لى أن الحب ليس بجميل ولا خير . قلت : ماذا تعنين يا ديوتيما هل الحب قبيح وشرير ؟ . أجابت : لا تقل هذا ، هل تظن أن ما ليس بجميل يكون قبيحاً ؟ . . . « بالطبع » وما ليس بحكمة هو جهل، ألا تعلم أن ثمة حالة للعقل هى بين الحكمة والجهل ؟ « ماذا تقصدين ؟ . أوضحى » ؟ أجابت : أن يكون للمرء معتقدات صحيحة ، ولكنه لا يستطيع البرهنة على صحتها وأنت ترى ، من غير شك ، أنه لا يمكن أن نسمى تلك الحالة معرفة لأن ما لا يبرهن عليه لا يستحق هذا الاسم . ولكن من الخطأ — كذلك — أن نسميها جهلا ، كيف نسميها جهلا والعقل يستطيع الوصول بها إلى الحقيقة ؟ فحالة المعتقدات الصادقة هى وسط بين العلم والجهل . قلت أوافقك على ما تقولين . قالت : إذن لا تقل إن ما ليس بجميل قبيح ، وما ليس بخير شريراً . وليس الحب جميلا ولا خيراً وليس بقبيح ولا شرير ، ولكنه بين بين ، قلت : ومع ذلك ، فالناس مجمعون على أنه إلّه عظيم ، هل تعنى بهم من يجهلونه أو من يعرفونه ؟ . أعنى الناس كافة ، من يعرفه ومن يجهله ، فانفجرت ديوتيما ضاحكة وقالت : حسناً يا سقراط ، لا أدرى كيف يعترف من لا يعرف أنه إلّه ، كيف يعترف أنه إلّه عظيم ؟ سألتها : ومن ذا الذى لا يعرفه ؟ « أنا وأنت مثلا » وكيف تقولين هذا ؟ « الأمر هين ، إن الإلّه سعيد وجميل ، أو تنكر هذا ؟ . « كلا ورب السماء » « وأعنى بالسعادة أن يكون متمتعاً بالخير والجمال» « طبعا » ولكن ألم تعترف أن الحب ينقصه الخير والجمال ويرغب فيهما ؟ « بلى » و « ألا ترى معى أن الكائن الذى لا يشارك فى الخير ولا فى الجمال لا يمكن أن يكون إلّهاً » « بلى» ها أنت إذاً ممن لا يعترفون بألوهية الحب » .

قلت : وما عساه يكون إذن ؟ أهو كائن فان ؟ « كلا » وماذا إذن ؟ . هو بين الكائن الفانى والموجود الأزلى : « أى كائن هو يا ديوتيما » ؟ . إنه روح عظيم يا سقراط ، وما هو روح هو نصف إلٓه ونصف إنسان . وما عمل ذلك الكائن ؟. إنه رسول الآلهة إلى الناس ومبعوث الناس إلى الآلهة . يرفع إلى الآلهة صلوات الناس ودعاءهم وضحاياهم . وينقل إلى الناس من الآلهة الأوامر والنواهى والمثوبة والجزاء . ولما كان ذا طبيعة مشتركة فهو مستطيع أن يعبر البرزخ الذى يفصل دنيا الناس عن عالم الآلهة ، وبذلك لا ينقسم الكون إلى قسمين منفصلين تمام الانفصال . يحصل الكهنة بفضله على القدرة على العرافة ، وتأدية الشعائر ، وإقامة الطقوس الدينية . وكتابة الرقى والإتيان بكل ضرب من ضروب السحر والأعمال الخارقة المعجزة . فالآلهة لا تتصل بالناس اتصالاً مباشراً وإنما يتم الاتصال بواسطة الأرواح سواء فى النوم أو فى اليقظة . فالرجل الذى له دراية بذلك ومشاركة فيه هو رجل روحانى ، أما ذلك الذى يشتغل بالحرف والأعمال اليدوية فهو رجل دنيوى . والأرواح كثيرة العدد والأجناس ، والحب من بينها ، سألت ومن هما أبواه ؟ أجابت إنها قصة طويلة ولكن لا بأس من روايتها لك . فى ليلة مولد أفرديويت أولم الآلهة وليمة احتفالا بتلك المناسبة المباركة ، وكان من بينهم إله الغنى وجاءت « بنيا » أو الفقر ووقفت على الباب عسى أن تنال شيئاً من خيرات الوليمة ، وسكر الغنى من الخمر الإلهية فخرج إلى بستان زيوس وغلبه النعاس فنام . وفكرت « بنيا » فى تخفيف بعض ما تعانيه من بؤس وشقاء وضيق بأن تحمل طفلا من الغنى . فاجتمعت معه وحملت بالحب . فالحب إذن حمل به فى مولد أفرديويت فتولد فيه شوق عارم للجمال ، ولجمال أفرديويت خاصة فأصبح تابعها وخادمها . ولما كان أبوه (الغنى) وأمه (الفقر) ،

توافرت فيه الخصال التالية : الحب فقير معدم دائماً ، لا تتوافر فيه الرقة والجمال كما يقع فى الأوهام عادة ، خشن المظهر ، حافى القدمين لا مأوى له ، يرقد فى العراء ، على الأرض الصلبة ، وعلى عتبات الدور ، وفى الطرقات ، ذلك ما ورثه عن أمه فهو لا يزال فقيراً معدماً محتاجاً . ولما كان ابن أبيه أيضاً فهو يسعى دائباً إلى الخير والجمال ، جسور مقتحم ، يطلب الحكمة ، مفعم بالقدرات شغوف بالحكمة ساحر ماهر ، وكيمائى قدير ومجادل فذ ، لا هو فان ولا هو خالد ، تراه يوماً منتعشاً مزدهراً إذا سارت الأمور وفق هواه ، ثم يذبل ويذوى ويموت ولا يلبث حتى يبعث بفضل ما ورث عن أبيه من حيوية وقوة ، ولكن ما يربحه اليوم يفقده غداً فلا هو غنى ولا هو فقير ولا هو جاهل ولا هو حكيم .

والحقيقة أنه لا يمكن أن يقال إن الإلّه يحب الحكمة أو يرغب فيها لأن الإلّه حكيم فعلا . ويصدق هذا القول على الحكماء إذا كانوا ثمة حكماء . هذا من جهة ومن جهة أخرى فالجاهل لا يحب الحكمة ولا يرغب فيها ، لأن من ينقصه الجمال والخير والعلم يرضى عن نفسه كل الرضى ، ولا يعتقد أنه ينقصه شىء على الإطلاق . ومن كان كذلك لا يرغب فيما يعتقد أنه لا ينقصه . قلت : إذن من يحب الحكمة ويرغب فيها ليسوا بحكماء ولا جهلة ؟ . قالت : إن الطفل يجيبك ، فمن الواضح أنهم فى منزلة بين المنزلتين ، لا يوصفون بالحكمة ولا يوصفون بالجهل ، والحب من بينهم ؛ فالحكمة شىء جميل والحب هو حب الجميل ، فالحب إذن هو حب الحكمة ومن ثم فهو وسط بين الحكمة والجهل ، وهذا مترتب على مولده فأبوه حكيم وحاذق ، وأمه جاهلة عاجزة . وهذا ؛ يا عزيزى سقراط ، كل ما يمكن أن يقال عن طبيعة الروح . أما ما تذكره أنت عن الحب فلا يستوقف النظر ، فأنت ، على

ما يظهر توحد بين الحب والمحبوب ، ولا توحد بين الحب والمحب ، ومن أجل هذا ذهبت إلى أن الحب جميل بل رائع الجمال ، فالمحبوب هو الذى يوصف بالجمال والرقة أيضاً ، وهو الجدير بالسعادة ولكن المحب يختلف عما وصفت كل الاختلاف .

قلت : كلامك يحمل على الاقتناع فهلا خبرتينى عما يؤديه الحب للناس ؟ . أجابت هذا يا سقراط ما كنت أنوى أن أخبرك به وأطلعك عليه . الحب هو حب الجمال تبعاً لمولده ووفقاً لطبيعته وهذا ما ذهبت إليه أنت أيضاً ، ولكن رب سائل يسأل مم يتألف الجمال ؟ و بعبارة أخرى ، ما غاية الحب الذى يشعر به محب الجمال ؟ . نجيبه ؛ غايته امتلاك الأشياء الجميلة ، ولكن هذا الجواب يثير سؤالاً جديداً وهو : وبم ينتفع من يمتلك الجمال ؟ . قلت : لاأستطيع لهذا السؤال جواباً . قالت : لا عليك فلنغير فى الألفاظ ونجعل الخير محل الجمال ، ولنفترض أن السائل يسأل : والآن يا سقراط ما غاية الحب الذى يحس به محب الخير ؟ . وألفيت هذا السؤال سهلا فأجبت على الفور : الحصول على الخير . وما الذى يحققه من يحصل على الخير لنفسه ؟ . أجبت من غير تردد : سيكون سعيداً : قالت حق لأن السعادة هى فى امتلاك الخير ولعل السائل يرضيه هذا الجواب ولا يحتاج أن يسأل : ولم يريد المرء أن يكون سعيداً ؟ . قلت هو كذلك .

سألتها : هل تعتقدين أن هذا الحب وتلك الرغبة يشترك فيهما الناس جميعاً ؟ هل يرغب الناس فى امتلاك الخير ؟ وعن نفسى أرى هذا مشتركاً بين الناس . « إذا كان الأمر كذلك يا سقراط ، وكان الناس يحبون نفس الشىء ، لماذا نجد بعضهم يحب ، وبعضهم لا يحب ؟ » .

« لا أزال أعجب لهذا ، ولا أدرى له سبباً » لا داعى للتعجب ،

فالحقيقة أننا نقتطع نوعاً من الحب ونطلق عليه اسم الحب بينما هو يخص جنساً أعم وأشمل ، ونطلق أسماء مختلفة على أنواع الحب الأخرى » .

« أتستطيعين أن توضحى كلامك بمثل» ؟ « . . . أجل ، الشعر أليس معناه الإبداع ، والإبداع ، كما تعرف ، يأخذ أشكالا مختلفة. فعلة خروج الشيء من اللاوجود إلى الوجود شعر، والحرف المختلفة ضروب من الشعر ، ومحترفوها شعراء. « هذا بين» ، ولكننا لا نسميهم شعراء ، وإنما نسميهم بأسماء مختلفة كل حسب حرفته بينما نقتطع جانباً من ميدان الشعر وهو الذى يتصل بالموسيقى والوزن ونطلق عليه اسم الجنس ونسميه وحده ، الشعر ، ونسمى المشتغلين به شعراء » . وهذا حق ، يصدق هذا على الحب ، فالجنس ينسحب على كل رغبة فى الخير وفى السعادة وذلك هو حقيقة الحب القوى الغلاب ، ولكن تلك الرغبة تعبر عن نفسها بوسائل مختلفة فعند بعض الناس حب المال وعند البعض الآخر حب القوة البدنية وعند فريق ثالث حب الحكمة . ولكن لا يمكن أن يسمى هؤلاء محبين ، وإنما يستقل باسم الحب الذين تتجه عواطفهم « اتجاهاً معيناً ، ونسميهم محبين » ، وقلت : « يلوح لى أنك تنطقين بالحق فتلك لعمرى نظرية صائبة » . واستطردت المرأة تقول : أولئك هم المحبون الذين يسعون لضم شطرهم الثانى ، ولكن لا يمكن أن أسمى هذا حباً وفقاً لنظريتى إلا إذا كان الشطر الثانى المنشود هو الخير ، فليس الحب يا صديقى هو حب النصف أو حب الكل ، ونحن نعلم أن الناس يرغبون أحياناً فى بتر عضو من أعضائهم إذا ما لحق به العطب ، والحقيقة أن الناس لا يميلون إلى مايخصهم ، وينسب إليهم ما لم يعتبروه خيراً ، وما لا يختص بهم وينتسب إليهم شراً ، فالناس إنما يهدفون إلى الخير والخير وحده .ألا تتفق معى فى

هذا ؟ بلى من غير شك » أو أتعرف إذن أن الناس إنما يحبون الخير ؟ أجل ، ونضيف إلى هذا أنهم يهدفون إلى الحصول على ما هو خير لأنفسهم وأن يظل لهم أبداً .

— وهذا حق « فالحب إجمالا هو الرغبة فى الامتلاك الدائم للخير » « صدقت » .

والآن وقد فرغنا من معرفة أو تعريف الحب ، وبيان طبيعته ، علينا أن نبحث كيف يفصح الناس عن رغبتهم القوية هذه . إن كانت تستحق أن تسمى حبًّا أتستطيع أن تذكرلى كيف ؟ « لو كنت أستطيع يا ديوتيما ما أعجبت بحكمتك كل هذا الإعجاب ، وما كنت أقف منك موقف التلميذ من أستاذه لأقتبس منك ، وأتلقى عنك معرفة الحب » ، قالت :

هون عليك ، سأعلمك كل شىء ، بالولادة فيما هو جميل ، والولادة إما بالجسد أو بالروح .. الحقيقة أنى لا أفهم ما تعنيه فهلا أفصحت وأوضحت ؟ . سأوضح لك الأمر . تعلم يا سقراط أن الناس جميعًا يحملون « بالجسد أو بالروح ، وعند ما يصلون إلى زمن النضج يشعرون برغبة طبيعية فى الولادة ، ولكن لا يستطيعون ذلك إلا فى الجمال لا فى القبح ، فثمة شىء إلهى فى تلك العملية ، ففى الحمل والولادة يصيب المخلوق الفانى حظًّا من الخلود . ولا يمكن أن تتم العملية فى غير إنسجام . والقبح لا يتفق مع ما هو إلهى ، بينما الجمال ينسجم معه ، ولذلك كان الجمال هو الإله الذى يرعى الولادة ، فعند ما يشعر المرء بآلام الوضع ويتصل بالجمال يحس بالسكينة . والاسترخاء الملذ وهذا مما ييسر الولادة . ولكن القبح والدمامة يحدثان نقيض ذلك ، فينقبض المرء وينطوى على نفسه متألمًا قانطًا ، وتتعسر ولادته ، ويتحمل آلام الحمل ، ولا يضع مولوده . فالمرء وهو حامل إذا جاءه المخاض ، تراه ينجذب بقوة إلى الجمال ، لأن الجمال يعينه على تحمل آلام المخاض ، فها أنت ذا

ترى يا سقراط أن غاية الحب ليست الجمال كما تظن ، « ما غايته إذن ؟ . » غايته الحمل والولادة فى الجمال « حقيقة ؟ » أؤكد لك أنها كذلك ، والآن لم تكون الولادة هى غاية الحب ؟ . لأن الولادة هى أقرب الأمور إلى الخلود الذى فى إمكان الكائن الفانى أن يظفر به ، ولما كان الحب هو الامتلاك الدائم للخير . فلا بد أنه يرغب فى الخلود رغبته فى الخير ، ويلزم من هذا أن الحب هو حب الخلود كما هو حب الخير » .

هذا ما أخذته عن ديوتيما كلما التقيت بها وتحدثت معها عن الحب . وسألتنى يوماً : ما ترى يا سقراط علة الحب والرغبة ؟ تأمل ما يحدث للحيوان من طير ووحوش عند ما تتملكها الرغبة فى التناسل ، إنها تقع فريسة لمرض الحب للاتصال بعضها ببعض ، وتسعى بعد ذلك لتوفير الغذاء لصغارها ، وفى سبيل هذين الهدفين نجدها تتقاتل وتتصارع حتى الموت ، وتعانى ما تعانى من جوع وألم . كل هذا من أجل حفظ النسل وامتداد الجنس ، ولعلك ترد مثل هذا المسلك بين البشر إلى العقل ، ولكن ما سببه عند الحيوان ؟ . أتقدر أن تخبرنى ؟ . اعترفت لها بعجزى ، فقالت : إذن كيف تنتظر أن تكون عليماً بالحب إذا جهلت هذا ؟ . ألم أقل لك يا ديوتيما إنى من أجل هذا سعيت إليك . فأنا فى حاجة إلى معلم فخبرينى ، بالله عليك ، عن علة هذا وعلة غيره من الظواهر التى تتصل بالحب : « حسناً إن كنت لا تزال تعتقد أن غاية الحب هى ما اتفقنا عليه مراراً فلن يدهشنك الجواب ؛ فما قلنا يصدق على الحيوان كما يصدق على الإنسان ، فطبيعة الفانى أنه ينشد البقاء والخلود وسبيله إلى ذلك الولادة والتناسل ؛ فالولادة هى التى تحل فرداً مولوداً محل الفرد الميت ، والفرد حتى فى حياته لا يحتفظ فى الحقيقة بصفاته فى كل طور من أطوار حياته مع أنه يحتفظ باسمه وهويته ، كما يسمى الرجل باسمه منذ طفولته حتى كهولته . فالفرد لا يزال يخلق كائناً جديداً ، وهو لا يزال يفقد أشياء ، ويجدد أشياء ، يخضع لمثل هذه العملية التى تمتد إلى شعره ولحمه وعظمه ودمه ، إلى جسمه كله ، بل إلى

روحه أيضًا ، فلا تثبت شخصية الفرد ولا عاداته ، ولا رغباته ، ولا مسراته وآلامه ، ولا مخاوفه وآماله ، لا يثبت من هذا شيء قط على ما كان عليه ، فالجديد منها لا يزال يخلف القديم .

ويتضح هذا أيضًا فى أجزاء المعرفة ، وما يحدث لها جدير بالملاحظة فلا يختفى منها شيء ، يظهر شيء وحسب ؛ فلا نحتفظ بهويتنا فيما يتصل بالمعرفة أكثر مما نحتفظ بها فى الأمور الأخرى بل إن كل جزء من أجزاء المعرفة يخضع لعملية التغيير والتبديل التى نخضع لها نحن جسما ونفسًا . فعملية التذكير تنطوى على معنى انفصال المعرفة عنا ؛ فالنسيان هو إفلات المعرفة ، والتذكر هو الاحتفاظ بها عن طريق إحلال فكرة جديدة محل التى فقدت ، ونخلع عليها هوية وهمية متصلة ، وهكذا يتحقق للمخلوقات الفانية البقاء والخلود ، فهى لا تخلد كما هى فهذا مقصور على الآلهة وحدهم بل بعملية تعويض ما يخسر الجنس من أفراد بأفراد جدد ، وعلى هذا النحو ياسقراط يستطيع الفانون المشاركة فى الخلود سواء كان خلوداً جسديًّا أو روحيًّا ، بينما يتمتع الآلهة الخالدون بالخلود على نحو آخر . فلا يروعك أن ترى كل كائن يحفظ نسله بالطبيعة ولا يزال الفرد مشغولا بالحب لكى يحقق لنفسه البقاء والخلود .

راعنى قولها فقلت لها : لعلك بلغت من الحكمة غايتها ، ولكن هل أصدق ما تقولين ؟ . أجابتنى بلهجة الأستاذية : من غير شك ، ولعل قولى يبدهك لغرابته وبعده عن التصديق إذا ما نسيت ما سبق أن قلته لك . وتذكر أن حب الشهرة والرغبة فى إحراز المجد يؤثران فى الناس تأثيراً قويًّا ، والناس لا يأبهون للأخطار فى سبيل ذلك أكثر مما يفعلون فى سبيل حفظ النسل ، بل ويضحون بحياتهم إذا دعت الضرورة ، هل تحسب أن السيتبس كانت لتموت فى سبيل زوجها ؟ ، أو يقدم أخيل على الموت فى سبيل صديقه ،

أو يموت كودروس[٢٢] ليحفظ ملكه لأبنائه ؟ . أتحسب أن هؤلاء كانوا ليموتون لولا يقينهم من خلود ذكراهم ؟ . كلا ، إنها الرغبة فى المجد التالد هى الدافع إلى كل عمل مجيد ، وكلما ارتقى الإنسان زاد حبه للخلود ، وقوى الدافع إليه ، أما أولئك الذين تتجه غريزتهم الخلاقة اتجاهاً جنسياً يجعلون همهم النساء ، ويكون حبهم جنسياً محضاً ، وتراهم يحسبون أنهم يضمنون لأنفسهم الخلود بإنجاب الأطفال . ولكن هناك غيرهم تكون ميولهم الخلاقة روحية ، ويحملون بالروح لا بالجسد ، ويخلقون ذرية روحية ؛ وأزيدك أن هذه الذرية هى الحكمة والفضيلة عامة ؛ فالشعراء وأصحاب الحرف الذين يبتدعون أشياء يستحقون من أجلها أن يسموا مبدعين وخلاقين ، ولعل أعظم وأشرف فرع من فروع الحكمة هو الذى يتناول تنظيم الدولة والأسرة وهو الاعتدال والعدل . وإذا ما ألهم شخص أن يجد نفسه حاملا تلك الصفات فعند ما ينضم ويرغب فى الولادة يبحث لنفسه عن بيئة جميلة لأطفاله لأنه لا يمكن أن يلد فى بيئة قبيحة ، وتراه يفرح بالجمال المادى ، وإذا ما وجد ضالته فى جسم جميل وروح نبيلة رحب بذلك المزيج ترحيباً حاراً . فيقبل عليه يلقنه تعاليم الفضيلة ويحببه فى الخصال التى تزين الرجل الفاضل ، ويوفق فى إنجاب الأطفال الذين يعمل منذ زمن على إنجابهم باتصاله الدائم بالجمال الذى يتمتع به صديقه وتفكيره فيه . وعقب إنجابهم يشترك الصديقان فى العناية بهم وتنشئتهم . وتكون العلاقة بينهم أقوى ، والمشاركة أتم مما تكون بين أبوين عاديين ، لأن أطفالهما يمتازون على أطفال البشر فهم خالدون ويفوقون جمال أطفال البشر ولا شك أن الناس يفضلون هؤلاء الأطفال على الأطفال الذين هم من دم ولحم ، فمن لا يغبط هوميروس وهزيود وغيرهما من فحول الشعراء على ما خلفوه من أطفال ؟ .

هؤلاء الأطفال الذين حققوا لآبائهم شهرة ومجداً وخلوداً ، وخذ مثلا ليكرجوس[٢٣] المشرع وما خلفه من أطفال لأسبرطة ، لا لصالح أسبرطة وحدها ، بل لصالح اليونان كلها ، وأنتم معشر الأثينيين تكرمون صولون أليس من أجل القوانين[٢٤] التى خلفها . وهذا شأن غير هؤلاء فى اليونان وفى غير اليونان . وهم الذين خلفوا آثاراً جليلة وقاموا بأعمال عظيمة ، ومنهم من ظفر حتى بعبادة البشر له بسبب ما تركوه من أطفال روحيين ، وهذا ما لم يحدث قط لإنسان بسبب أطفاله من لحمه ودمه .

وهذه هى يا سقراط أسرار الحب ويمكنك الدخول فيها ، ولا أدرى هل فى إمكانك أن تتقدم إلى ما يعلوها من أسرار إذا ما اهتديت بروح صادق ، وأيًّا كان الأمر فلن تفشل لأنى قصرت فى إرشادك وتبصيرك ، وسأنير السبيل أمامك وعليك أن تسير فيه ما استطعت إلى ذلك سبيلا .

إن الرجل الذى يرجو أن يتبع الطريق القويم إلى هدفه هذا السامى ، عليه أن يأخذ نفسه من الصغر بتأمل الجمال الإنسانى ، وإذا أحسن مرشد إرشاده أحب أولا فتى جميلا ، ويأتى بعواطف نبيلة بالاتصال به . ثم يدرك أن الجمال المادى فى شخص متصل بالجمال المادى فى شخص آخر ، وإذا كان ينشد الجمال الظاهرى فمن العبث ألا يعترف أن الجمال الذى يتجلى فى جميع الأجسام إنما هو جمال واحد وعندئذ يحب الجمال المادى عامة ، فيضعف حبه لشخص بعينه لأنه يدرك أن هذه عاطفة أقل أهمية . وقد تجاوزها إلى مرحلة أخرى أو ارتقى إلى مرحلة أخرى ، وتأتى المرحلة التى يقدر فيها جمال الروح أكثر من تقديره لجمال الجسد ، فلو أنه وجد نفساً نبيلة فاضلة فى جسم لاحظ له من جمال لرضى بحبها والإخلاص لها ، فيأتى بالأفكار التى من شأنها تهذيب النشأة . وهو فى هذه المرحلة يجد نفسه يتأمل الجمال الذى يتبدى فى الأعمال

والنظم المختلفة ، ويتضح له آخر الأمر أن الجمال فيها مرتبط بعضه ببعض فيظهر عندئذ حقارة الجمال المادى ، وضآلة شأنه إذا قورن بالجمال الروحى ، ومن الأخلاق ينتهى إلى العلوم فيتأمل جمالها ، وبذلك يحصر نظره فى الجمال بمعناه الواسع ؛ فلا تستعبد بعد عاطفة حقيرة لنموذج فردى للجمال سواء كان موضوع حبه فتى ، أو رجلا ، أو عملا ، من الأعمال ، أو نظاماً من الأنظمة وهو إذ يحدق فى محيط الجمال الذى اتجه إليه بصره الآن ، ثم يأتى بفضل حبه الفياض للحكمة بعواطف وأفكار نبيلة جليلة ، و إذا ما قوى بفضل هذه التجربة يرنو ببصره إلى العلم الوحيد وموضوعه الجمال الذى سأحدثك عنه . والآن أعرنى سمعك ووعيك كله .

إن الرجل الذى سار هذا الشوط ، ووصل إلى هذا المدى فى أسرار الحب ، واتجه بفكره إلى نماذج الجمال حسب الترتيب الذى ذكرناه ، مثل هذا الرجل ينكشف له فى آخر الطريق جمال فذ فى طبيعته ، وهو غاية كل المراحل السابقة يا سقراط ، هذا الجمال هو أولا وقبل كل شىء جمال خالد لا يخضع لكون أو فساد ، ولا يجوز عليه نمو أو ذبول ، وهو ثانياً ليس جميلاً فى ناحية من نواحيه ، قبيحاً فى ناحية أخرى ، وليس جميلا فى آن وقبيحاً فى آن آخر ، وليس جميلا بالنسبة إلى شىء ، وقبيحاً بالنسبة إلى شىء آخر. جميلا فى مكان وقبيحاً فى مكان آخر ، ولا يختلف باختلاف الناظرين إليه ، ولا باختلاف الجهة التى ينظرون منها ، ولا تجد له شبيهاً فى جمال وجه أو جمال يدين أو جمال جسم ، أو شبيهاً بجمال فكرة أو جمال علم ، وليس له شبيه فى غير ذاته سواء كان كائناً حياً فى السماء أو على الأرض أو فى أى مكان آخر ، بل هو جمال مطلق لا يوجد إلا بذاته ، وكل شىء جميل يشارك فيه وإن جاز عليها الكون والفساد ، والتغيير فلا يجوز عليه شىء من هذا .

عند ما يلمح المرء هذا الجمال الأسمى مبتدئاً من العالم الحسى مستعيناً بحب الغلمان ، عند ما يلمح هذا الجمال يكون قريباً من غايته . هذا هو

الطريق القويم فى الاقتراب من أسرار الحب ، والدخول فيها ، يبدأ المرء بنماذج الجمال فى هذا العالم يجعلها درجات يرقى بها جاعلا غايته ذلك الجمال الأسمى المطلق من نموذج للجمال الحسى إلى نموذجين ومن نموذجين إلى الجمال ككل ، ومن الجمال الحسى إلى الجمال الخلقى ، ومن الجمال الخلقى إلى جمال المعرفة ، ومن المعرفة بفروعها المختلفة إلى المعرفة المطلقة التى يكون موضوعها الوحيد الجمال المطلق فيعرف آخر الأمر ماهية الجمال المطلق .

واستطردت المرأة الحكيمة تقول : فى ذلك المكان لا فى غيره ينبغى للمرء أن ينفق عمره يا سقراط فى تأمل الجمال المطلق ، وإذا ما أبصره فلا يعنى بذهب أو بثياب فاخرة أو بجمال الغلمان والشبان مع أن النظرة من هؤلاء تسبب لك ولأ مثالك نشوة ما دمت تتمتع بصحبتهم دائماً والنظر إليهم حتى لترضى أن تحيا من غير طعام ولا شراب إذا قدرت على هذا . وبقيت أبداً معهم تتأمل جمالهم ، كم تكون سعادة الرجل الذى يحظى برؤية الجمال المطلق ، ويطلع على ماهيته طاهراً لا يدنسه دنس ، ونقياً لا تشوبه شائبة ، بدلا من الجمال الذى يشوبه ويدنسه لحم الإنسان وألوانه ، وهو كتلة من المادة القذرة الفانية ؛ من يصل إلى هنا يستطيع أن يدرك الجمال الإلهى حيث يوجد بمعزل عن كل شىء ، وحيداً فريداً ! أتحسب أن الرجل الذى يتأمل الجمال المطلق ويتحد به ، أتحسب أن حياته تدعو إلى الشفقة والرثاء ؟ . ألا ترى أنه فى ذلك المكان وحده الذى يرى الجمال المطلق بالملكة التى يمكن رؤيته بها ألا ترى أنه يستطيع الإتيان ليس فقط بصور منعكسة للخير بل بالخير الحقيقى ، لأنه لا يتصل بظل الحقيقة ولكن بالحقيقة ذاتها ؟ . وإذا ما جاء بالخير ورباه أصبح أهلا لحب الله ويتحقق له الخلود إن كان من الممكن أن يظفر آدمى بالخلود .

هذا يا فيدرس ويا أصدقائى ما حدثتنى به ديوتيما وما صرت أعتقد فيه ،

ولذلك فإنى لا آلو جهداً فى حث غيرى على أن يأخذ نصيبه من هذه النعمة التى لا يستطيع البشر الظفر بها بدون معونة الحب ، وإنى أعلن أن واجب كل امرىء أن يكرم الحب ، ويمجده وإنى أمجده وأمارس أسراره على قدر جهدى وأوصى بذلك غيرى .

هذا حديثى يا عزيزى فيدرس تستطيع إن شئت تعتبره تمجيداً للحب وإلا فاعتبره ما تشاء .

« ذكر لى أرستديموس أنه خلال التصفيق الذى أعقب حديث سقراط كان أرستوفانز يحاول أن يقول إن سقراط إنما كان يشير إلى نظريته فى بعض حديثه . حينما سُمع قرع شديد على الباب وسمعت جلبة تشبه جلبة السكارى ومعهم عازفة .

قال أجاثون لخدمه : انظروا من الطارق فإن كان من أصدقائنا فدعوه يدخل وإلا فأخبروهم أن الوليمة انتهت وإننا نوشك أن نأوى إلى فراشنا . وبعد ذلك بلحظة قصيرة سمعوا صوت القبيادس وهو يصيح فى الفناء وهو سكران أن قودونى إلى أجاثون . فأخذت بيده العازفة وبعض رفاقه وأدخلوه ، ووقف على العتبة وقد توج رأسه بأكاليل من اللبلاب والبنفسج تدلت من عصائب . قال : طابت ليلتكم أيها السادة ، أترحبون أن ينضم إليكم رجل ثمل مثلى ؟ . أو أكتفى بوضع إكليل على رأس أجاثون ، فهذا ما جئت من أجله ثم أنصرف لشأنى ، إنى لم أحضر حفلة البارحة ولكنى جئت الليلة بهذا الإكليل ويسعدنى أن أخلعه من رأسى ، وأضعه على رأس مثال الجمال والذكاء جميعاً ، لعلكم تضحكون منى لأنى ثمل أليس كذلك ؟ . على رسلكم ، اضحكوا ما شاء لكم الضحك ، ولكننى إنما أنطق بالحق ، والآن هل تأذنون لى أن أنضم إلى جماعتكم على نحو ما ذكرت وهل تشربون معى ؟ .

أهاب به الحاضرون أن يدخل ؛ وشاركهم أجاثون فى دعوته فدخل مستنداً إلى من جاء بصحبتهم . ونزع الإكليل من رأسه ووضعه على رأس أجاثون وتدلت العصائب على عينيه وهو يفعل ذلك فلم ير سقراط . ثم قعد بجانب أجاثون بعد

أن أفسح له سقراط مكاناً بجواره وإذا ما قعد عانق أجاثون وقد وضع على رأسه الأكليل .

صاح أجاثون بخدمه : اخلعوا نعليه حتى يستطيع القعود ويكون ثالثنا . قال القبيادس : جميل ولكن من هو زميلك على المائدة ، واستدار وهو يقول ذلك فأبصر سقراط فصاح :

— يا لله ! . من ذا الذى أرى ؟ . أسقراط ؟ . ألقاك هنا فى انتظارى أيضاً ؟ ومن أذن لك أن تأخذ هذا المكان ؟ . ألم يكن خليقاً بك أن تجلس بجوار أرستوفانز أو غيره من المجان المهرجين ، ولكنى أراك تجلس بجوار أجمل من أعرفه ؟ . قال سقراط هلا دافعت عنى يا أجاثون ؟ . فإنى أجد حب الرجل غلبنى على أمرى ومنذ أحببته ما أن أنظر إلى رجل جميل أو أبادله الكلام حتى تتملكه الغيرة فيكون فظاً ، وينال منى بلسانه وبيده فخل بينه وبينى حتى لا يأتى أعمالاً جنونية . وإذا حاول أن يضربنى فاحمنى منه فإنى عاجز تماماً ؛ فسلوكه الجنونى ، وعواطفه المتقدة تفزعنى وتملك على أمرى .

قال القبيادس : لن أتركك فى سلام ، ولكن سأدع محاسبتك إلى ما بعد ، أما الآن فأعرنى يا أجاثون بعض العصائب أصنع منها إكليلا أتوج به رأسه هذا العجيب وإلا لامنى لأنى توجت رأسك وتركت رأسه غير متوج . هذا الرجل الذى يقهر الناس كافة بكلامه دائماً وأبداً لا فى مناسبة واحدة كما فعلت أنت أول أمس . وأخذ القبيادس بعض العصائب وصنع منها إكليلا توج به رأس سقراط ثم جلس .

وبعد أن فرغ من هذا صاح قائلا : يبدو لى أيها السادة أنكم لم تسكروا بعد وإنى أنكر هذا فلا بد أن تشربوا ، فهذا ما اتفقنا عليه ورضيتم به وسأتولى الأمر — بنفسى — حتى تسكروا . يا أجاثون مر بكأس كبيرة إذا كانت لديك، ولكن كلا ، لعل هذا الإناء المعد للتبريد يكفى . وأشار إلى إناء يسع أكثر من نصف جالون ثم أمر أن يملأ لسقراط وقال وهو يفعل هذا : لن يؤثر هذا فى سقراط أدنى تأثير فهو يشرب ما يشاء من الخمر ولا يسكر قط . وملأ الخادم

الإناء لسقراط فاحتساه حتى الثمالة .

فقال أريكسماخوس : لا أرضى بهذا يا ألقبيادس ، نشرب من غير سمر ولا غناء بل نشرب ونشرب كأننا ظماء . أجاب القبيادس، آه يا أريكسماخوس يا خير ابن لخير أب إليك تحياتى ، قال أريكسماخوس : وتحياتى لك أيضاً والآن ماذا نحن فاعلون لنسلى أنفسنا ؟ .

قال القبيادس : مر بما شئت ونحن طوع أمرك والمثل يقول : رجل طبيب خير من ألف رجل فمرنا بما تشاء .

قال أريكسماخوس : أعرنى سمعك إذاً ؛ كنا قبل حضورك قد اتفقنا أن كلاً منا من اليسار إلى اليمين يقدم حديثاً فى مدح الحب ، وفرغ كل منا من تقديم حديثه ولم يبق سواك ، ولقد فرغت من الشرب فعليك بإلقاء حديث فإذا ما فرغت منه مر سقراط بما تشاء أن يفعل وهو يأمر جاره إلى اليمين وهكذا .

قال القبيادس : فكرة رائعة يا أريكسماخوس ، ولكن ليس من العدل والإنصاف أن تطلب من رجل ثمل أن يبارى هؤلاء الذين يحتفظون بوعيهم ولم يسكروا ، فضلا عن هذا فلا تصدق ما قال سقراط فعلى عكس ما يقول لن أسلم من يده لو أنى مدحت أحداً غيره فى حضرته ولو كان إلهاً .

قال سقراط : ألا تلزم الهدوء يا رجل ؟ .

قال القبيادس : من العبث أن تعترض يا سقراط لن أمدح أحداً سواك .

قال أريكسماخوس : لا بأس ، وقدم حديثاً تمدح به سقراط .

قال القبيادس: ماذا تقول يا أريكسماخوس أتحسبنى أفعل هل أستطيع أن أوفيه حقه من الثناء فى حضرتكم ؟ .

قال سقراط : ما الذى تضمره لى ؟ . أتراك تريد أن تسخر منى ، أو ماذا عساك أنت قائل ؟ .

— سأقول الحقيقة ، أتأذن لى بهذا ؟ .

— أجل ، بل أهيب بك أن تفعل .

قال القبيادس : حسناً إذن وإليك ما تفعله إذا أنا حدت عن الحقيقة : اضربني وامنعني عن متابعة الحديث وأعلمني أني أكذب ، فمن ناحيتي لن أحيد عن الحقيقة متعمداً ولكن لا ترع إن خانتني الذاكرة وخلطت في كلامي ، فليس سهلا لمن كان في حالي أن يصف شخصيتك الفذة على نحو مفصل متصل مرتب .

وإني أرى أن أمدح سقراط بإيراد الأمثلة ، ولعله يظنني ساخراً ، ولكني أرمي إلى قول الحق لا السخرية به والنيل منه على أي نحو من الأنحاء، فأقول إن سقراط يشبه تماثيل سيلنيوس(٢٤) التي ترونها معروضة في حوانيت المثالين في أيديهم المزامير والفلوتات ؛ وهي جوفاء تحوي في داخلها تماثيل الآلهة. وأقول أيضاً إنه شبيه بمارسياس(٢٥) الماجن . ولا أخالك تنكر يا سقراط أنك شبيه بهؤلاء شبهاً كبيراً في مظهرك . وسترى أنك شبيه بها في مخبرك أيضاً . فأنت من جهة ثرثار ، ألست كذلك ؟ . لا تعزف على الفلوت ، ولكنك تفعل ما يعجز عنه مارسياس بآلته الموسيقية ، فهو في حاجة إلى آلة ليسحر الناس بقوة فيه ، ولا يزال يفعل من لا يزال ينشد أغانيه (وأرى الألحان التي تعزى إلى أوليمبوس إنما هي لمارسياس وهو الذي ألقاها عليه) فألحانه وحدها ستلقي الناس في غيبوبة بفضل مصدرها الإلهي فتعين الذين يشتاقون إلى الاتحاد بالآلهة والدخول في أسرارهم ذلك سواء عزفها عازف ماهر أو فتاة بائسة ، وأنك يا سقراط تبز مارسياس لأنك تؤثر تأثيره بمجرد كلام ولا تستعين بآلة موسيقية ، ونحن لا نعير الخطيب التفاتاً كما نفعل معك مهما كان فصيحاً مدرهاً ، وإذا روى لنا حديث لك أو مجرد كلام عادي مهما كان راويته رجلا أو امرأة أو حتى صبياً ، فإنه يحرك أعماقنا ويثير شجوننا ويخلب لبنا ، ولولا أنكم تظنونني ثملا لأقسمت على ما أقول أو أنه يؤثر في تأثيراً يطول مداه ، فكلما استمعت إليه اشتدت ضربات

قلبي ، ووجب وجيباً كأنى فى غيبوبة صوفية ، وتنهمر الدموع من مآقى ، وألاحظ أن غيرى يحدث له ما يحدث لى . ولم يحدث شىء من هذا عند ما كنت أستمع إلى بركليس وإلى غيره من الخطباء المفوهين ، مع علمى بأنهم أرباب الخطابة فلا تضطرب روحى ولا يجيش صدرى ، ولا يستولى على اليأس ولا أحس أن حياتى لا تفضل حياة عبد .

هذا ما يحدث لى عند ما أستمع إلى مارسياس الحديث ، فيعتريني إحساس أن حياتى تافهة حقيرة ما دمت أحياها كما يحلو لى لا كما ينبغى أن تحيا ، ولا أظنك تنكر هذه الحقيقة يا سقراط ، فإنا على يقين أنى لو استمعت إليك الآن لحدث لى ما يحدث عادة على نحو ما وصفت ، فهو يدفعنى إلى الإقرار بعجزى وما بى من نقائص وعيوب . ومع ذلك أتعامى عن نفعى الحقيقى وأشتغل بالحياة العامة ، فأصم أذنى ، وأركب رأسى ، وأركن إلى الفرار على غير ما أهوى ، كما فر أوديسوس من عرائس البحر [٢٦] لولا هذا لصحبته كظله حتى يبيض شعر رأسى . وفى حضرته ينتابنى شعور بالخجل فى حضرة كائن من كان غيره ، ولعل مرجع هذا أن أحداً لا يستطيع أن يعارضه أو يعصى له أمراً ، ولكن ما إن ابتعد عنه حتى استسلم لإغراء المجد والشهرة ؛ فأكون كالعبد الآبق وأطلق ساقى للريح ، وإذا ما التقيت به ثانية وتذكرت أقواله وآراءه تولتنى الحيرة واستبد بى إحساس الخجل وكم تمنيت أن يختفى من على ظهر البسيطة ، ولا أعود أراه ، ولكننى فى نفس الوقت أعلم أنه لو حدث هذا لطغى حزنى على شعورى بالراحة والخلاص . والحق أنى لا أدرى ما أصنع معه .

هذا ما يفعله بى وبغيرى عزف هذا «الساتير» ، ولكن استمعوا إلى حتى أذكر لكم شبه سقراط بمن ذكرت فى نواح أخرى . إن سقراط لذو قوة معجزة ؛

وثقوا أنكم لا تعلمون حقيقته حق العلم ، وما دمت قد أخذت على عاتق التحدث عنه ووصف شخصيته فسأجلو لكم حقيقته وأزيح عنها النقاب ، اعلموا أن سقراط يهوى الشبان الحسان ، شغوف بصحبتهم ومخالطتهم ، ويجد فى ذلك متعة وغبطة ، ذلك وتجدونه يدعى الجهل ، وفى هذا كله يشبه سيليوس أشد الشبه ؛ فهو يظهر هذه الصفات كالتمثال المنحوت ، ولكن من يتجاوز المظهر إلى الباطن يلمح قوة ضبط النفس وصلابة ما من أحد يستطيع تقديرها حق قدرها . صدقونى يا سادة بأنه لا يهمه من الشخص جمال الصورة ، ولا ملاحة التقاطيع فإنه يكره الجمال الظاهرى كرهاً لا مزيد عليه ، ولا يهمه كذلك أن يكون غنياً أو وجيهاً أو متمتعاً بحب الشعب ، فهذه أمور تافهة فى نظره خليقة باحتقاره وازدرائه . وتأكدوا أنه يرانا على حقيقتنا ، فنحن فى نظره لا نساوى خردلة ، وهو مع ذلك ينفق أيامه يلهو مع الناس مظهراً الود لهم ، ولا أحسب أن أحداً اطلع على صفاته النادرة عند ما يجد الجد . ولقد أتيح لى أن أطلع على ما يضمر هذا الرجل فى أعماقه من كنوز ، وحكم إلهية فلا يسعنى إلا الانصياع لما يأمر به ، والعمل بما يدعو إليه .

وقع فى ذهنى أن سقراط جاد فى الإعجاب بشبابى وجمالى ، وحسبت أن الحظ يحبونى إذ أستطيع أن أظفر بنصيب من حكمة الرجل ولكن تهت عجباً بجمالى وفتنته . وكان أن دبرت أمراً لتحقيق غايتى ، فصرفت الوصيف الذى كان يلازمنى عند ما ألتقى بسقراط ، وعملت أن يخلو بى — أرجو أن تصيخوا السمع جيداً لأنى أقول لكم الحقيقة ، وأنت يا سقراط نبهنى إن أنا حدت عن الحقيقة — حسبت أنه لو خلى بى لخاض فى حديث مما يدور عادة بين محب ومحبوبه فطغى سروري . ولكن سقراط لم يفعل . أنفق الوقت كله فى حديث من أحاديثه المألوفة وفى النهاية ودعنى وانصرف . دعوته مرة ثانية ليشاركنى فى الألعاب الرياضية فى الملعب ، وصحبته إلى الملعب ، وأنا أمنى النفس بتحقيق غايتى تلك المرة ، ولعبنا وتصارعنا وكان

الملعب لا يضم غيرنا . ولا أستطيع أن أدعى أننى كنت قريباً من تحقيق غايتى فى تلك المرة أكثر من سابقتها . ولما وجدت أن هذه الحيلة لم تنلنى مرامى عولت على الهجوم المباشر وألا أسلم بالهزيمة ، ويجب أن أكون صريحاً معه فدعوته لتناول العشاء معى ، وتصرفت كما يتصرف محب يدبر أمراً لمحبوبه . ولم يتسرع سقراط فى قبول الدعوة ولكننى ألحفت فقبل ، وجاء فى المرة الأولى ، وما أن فرغ من عشائه حتى نهض يريد الانصراف ، واستحييت هذه المرة فتركته ينصرف ، ولم أستبقه وأعدت الكرة وبذلت غاية جهدى فى المرة الثانية حتى أشغله بالحديث بعد الفراغ من الطعام حتى استبقيته معى إلى ساعة متأخرة من الليل ، ولما أراد الانصراف ألححت عليه بالمكوث بحجة أن الوقت متأخر .

فرضى أن يقضى الليلة عندى ، واتخذ من الكنبة التى تناولنا عليها الطعام فراشاً ورقد إلى جوارى ، ولم يكن معنا أحد . وإلى هنا والقصة عادية ، وكنت أنوى ، ألا أسرد على مسامعكم بقيتها لولا أمرين : أولهما أن المثل يقول : الحقيقة فى الخمر سواء مع الأولاد أو بغيرهم ، وثانياً : أنه لا ينبغى أن يظل هذا الجانب من شخصية سقراط الذى يدل على بطولته ، ولا ينبغى أن يظل مجهولا ونحن الآن بصدد وصف شخصيته ، فضلا عن هذا فإنى كنت كمن لدغه ثعبان ، ويقولون إن من لدغه ثعبان لا يستطيع أن يبوح بألمه إلا لمن لدغ مثله حتى يستطيع أن يفهمه ولا يؤذيه ما يقول أو ما يفعل بسبب ألمه . ولقد لدغت فى أشد جوارحى حساسية ، فلقد لدغت ، بل وجرحت فى قلبى وفى روحى أو فى أى جارحة يشاء لكم مزاجكم الفلسفى أن تسموها ، ومثل هذا الجرح يكون أشد من لدغة ثعبان ، وخاصة فى روح شاب لا يزال بعد غراً .

وإنى أرى بينكم أمثال فيدرس وأجاثون وأريكسماخوس وبوزيناس وأرستديموس وحتى أرستوفانز ، فضلا عن سقراط ، فإنكم تشاركون فى جنون الفلسفة وهوسها ، إذاً ستسمعون منى بقية القصة عساكم تغفرون لى ما أقول

الآن كما غفرتم لى ما فعلت من قبل أما الخدم ومن لا يدخل فى زمرتنا فعليهم أن يصموا آذانهم عما أقول .

حسناً أيها السادة ، عند ما اطفأت الأنوار وغادرنا الخدم . وتركونا بمفردنا آليت ألا أكون حذراً معه ، بل أصرح له بعواطفى فلكزته بكتفى وقلت له : أنائم أنت يا سقراط ؟ .

فأجاب : ما أبعد النوم عن عينى ! قلت : هل تعرف ما يدور فى خلدى الآن ؟ .

أجاب : وكيف أعرف فيم تفكر ؟ قلت : حسناً ، إنك المحب الوحيد الذى أراه جديراً بى ، ولكننى أجدك متردداً هياباً فلا تستطيع أن تبوح لى بما تكنه لى ، وإنى لست من الغباء بحيث أصدك عما ترغب وأمنع عنك ما أملك أو ما يملك أصدقائى . وغايتى أن أحقق الكمال على قدر ما أستطيع ، ولا أحسب أن أحداً يستطيع أن يعيننى على بلوغ هذا غيرك . وإنى لأخجل من توبيخ الحكماء لى أكثر مما أخجل من العامة لو أننى أرضيت رغباتك .

— لا شك أنك على حظ كبير من حدة الذكاء إن كان ما تقول هو الحق ، وإنى أملك القوة التى تعينك على تهذيب نفسك وتدنيك من الكمال . لا بد أنك تجدنى أجمل منك فأنت تحاول أن تنال حظاً من جمالى بمبادلتى جمالا بجمال . ويبدو لى أنك ستكون الرابح فى هذه الصفقة ، فأنت ستظفر بجمال حقيقى فى مقابل جمال زائف . ولكن هل أنت على يقين أنك لم تخطئ فى تقدير جمالى وتقدير مواهبى ؟ . ولا يبلغ عقل المرء غاية نضجه إلا بعد أن يضعف بصره وأنت لم تصل إلى هذا بعد .

قلت : حسناً لقد قمت بواجبى وما قلته يعبر عن عواطفى الصادقة وبقى عليك أن تقرر ما هو خليق بى وبك .

أجاب : صدقت سننظر فى هذا فيما بعد وسنقرر بشأنه وبشأن

غيره ما ينبغى أن يفعل .

لقد رميت بآخر سهم فى جعبتى ولقد أدركت من إجابته أننى جرحته ولذلك لم أدعه يواصل الكلام وقمت ودثرته بملابسى إذ كان الوقت شتاء ، ودثرت نفسى بعباءته الممزقة . وأحطت بذراعى هذا الرجل العجيب الذى أراه يفوق الإنسان . وبقيت على ذلك الوضع حتى الصباح . والآن يا سقراط هل تراك تقول إننى لم أقل الحق ؟. وعلى الرغم مما فعلت ومما بذلت من جهد أثبت الرجل أنه أقوى من إغرائى . وتغلب على مفاتنى ، بل واحتقرها مما جرح كبريائى . أيها المحلفون ويحق لى أن أدعوكم هكذا ، ما دمت أعرض أمامكم قضية تصرف سقراط معى الذى ينطوى على إهانة لى ، أيها المحلفون أقسم لكم بآلهة السماء أنه لم يحدث بيننا ليلتئذ إلا ما يحدث عادة بينى وبين أبى أو أخى الأكبر .

ما تظنون كانت حالتى العقلية بعد ما حدث ؟ . شعرت من جهة أننى أهنت وجرحت فى كبريائى ، ولكننى من جهة أخرى شعرت بإجلال عظيم لخلق سقراط وعفته وشجاعته . فلقد رأيت فيه حكمة وشجاعة ما كنت أتوقع أن أجدهما فى أحد من الناس مما جعلنى أكظم غيظى ولا أفكر فى الانفصال عنه . ولم أهتد إلى وسيلة لإخضاعه لإرادتى إذ ظهر لى أنه أقوى من كل إغراء ، لا ينال منه إغراء كما لا تنال السيوف البواتر من إجاكس ، فى اللحظة التى حسبت أننى ظفرت ببغيتى إذ هو يفلت منى مما جعلنى أضطرب ، واختلط على أمرى فهمت على وجهى ، وأنا واقع تحت تأثير سلطان هذا الرجل الذى لا أجد له ضريباً .

وكان بعد ذلك أن اشتركنا معاً فى الحملة التى وجهت ضد بوتيديا [٢٧] .. وضمتنا فرقة واحدة وأول ما يستحق الذكر عن أمره فى تلك الحملة عامة إذا قطع عنها الإمداد . كما يحدث فى الحروب ، ونبقى من غير طعام لا تجد أحداً يتحمل ألم الجوع كما يفعل

سقراط ، وإذا ما تدفقت علينا المؤن أصاب منها أكثر مما يصيب غيره ، وإذا ما أجبر على شرب الخمر فلا تجد من يتفوق عليه فى شربها . ومن غريب أمره أنه لم ير سكران قط — وسترون بأنفسكم صدق ما أقول أما عن مشاق الشتاء ، والشتاء ثمة قاس شديد البرودة ، فقد أتى سقراط بالمعجزات فعند اشتداد الصقيع كان الجند يتدثرون بالمعاطف الثقيلة ، ويلفون أنفسهم بالفراء لفاً قوياً محكماً ، أما سقراط فكان يخرج مرتدياً ثيابه العادية البسيطة ويمشى حافياً على الجليد . وكان الجند يحدجونه بأبصارهم فى شك وريبة وكانوا يظنون أنه يفعل ذلك تحقيراً لهم واستهزاء بهم .

لعل هذا يكفى لتصوير ذلك الجانب من سقراط ، ولكن لا يجب أن نغفل عن ذكر عمل من أعمال البطولة جاء به سقراط فى تلك الحملة . حدث أن عرضت له مشكلة فى صباح أحد الأيام فوقف فى مكانه يفكر فيها واستعصى عليه حلها فظل واقفاً لا يتحرك وهو مستغرق فى التفكير العميق والجند وقوف حوله معجبين متعجبين، وتهامسوا فيما بينهم، يقول الشاهد للغائب إنه رآه منذ الصباح واقفاً وقفته تلك . وأقبل المساء وجاء بعض رجال أيونيا إلى حيث وقف سقراط بعد أن فرغوا من عشائهم ، وأخرجوا فراشهم واستلقوا عليها فى العراء لشدة الحر إذ كان الوقت صيفاً من جهة ، ومن جهة أخرى لكى يستطيعوا مراقبة سقراط هل يظل كما هو طول الليل . وظل سقراط واقفاً حتى مطلع الشمس وعندئذ صلى للشمس ، ثم غادر المكان .

والآن يطيب لى أيها السادة أن أشيد ببطولته ، فى المعركة (٢٨) التى حيانى فيها القواد بوسام كان سقراط جديراً به لأنه صاحب الفضل فى إنقاذى ، واستخلاص سلاحى ولم يتركنى وأنا جريح . ولقد طلبت من القواد أن يمنحوا سقراط الوسام ، وأرجو يا سقراط ألا تجد فى قولى نقصاً أو تناقضاً ، طلبت من القواد هذا ولكنهم كانوا يميلون إلى إيثارى به لمكانتى الاجتماعية . وفى الحق أنك



زيـوس

يا سقراط كنت أحرص منهم على أن آخذ الوسام .

واسمحوا لى أيها السادة أن أقول لكم إن موقف سقراط يوم تراجع الجيش فى غير نظام من دايليوم[٢٩] كان موقفاً رائعاً خليقاً بأن يكتب فى سجل الخلود؛ وكنت يومئذ فى فرقة الفرسان وكان سقراط فى المشاة فأتيته وكان يسير فى رفقة لاخيس ، شجعتهما ، وأكدت لهما أننى لن أتخلى عنهما وأتيح لى يومئذ أن أراقب سقراط عن كثب ما لم يتح لى فى بوتيديا إذا كنت أمتطى جوادى ، فلاحظت أول ما لاحظت أن سقراط أثبت جناناً من رفيقه لاخيس ثم لاحظت أيضاً ، ودعنى يا ارستوفانز أستعير عبارتك أنه كان يمشى مشيته التى ألفناها منه فى أثينا شامخاً بأنفه رافعاً رأسه يلقى بنظراته على كلا الجانبين ، يراقب حركات الأصدقاء وحركات الأعداء على السواء وهو على أهبة الاستعداد لصد أى هجوم ، واستطاع أن ينجو هو وصديقه بفضل يقظته وثباته ، وأمثال سقراط لا ينالهم شر فى الحروب لأن أنظار الجيش المطارد إنما تتجه إلى الخائف المضطرب .

والناظر فى أخلاق سقراط يجد فيها الصفات الممتازة يمدحها فيه . ولكن قد ينطبق هذا الوصف لحياته العامة على غيره من الناس . ولكن المدهش فيه أنه منقطع النظير ويختلف عن الأحياء والأموات من بنى الإنسان اختلافاً تاماً . وأنكم إن بحثتم عن ند لأخيل وجدتموه فى براسيدياس وفى غير براسيدياس ، وإن نشدتم نظراء لبرقليس وجدتموهم فى نستور وانتبنور . (وغيرهما كثير) . وأنكم لواجدون لغير هؤلاء وهؤلاء أشباهاً وأنداداً ولكن صاحبنا لا نظير له ولا ضريب ولا شبيه سواء فى خلقه أو فى حديثه . لن تجدوا أحداً يشبهه عن قرب أو عن بعد بين المعاصرين أو بين القدماء اللهم إلا إذا تجاوزتم البشر وفزعتم إلى صور سيلنيوس وساتير ، وهذا ما فعلته فى وصفى له فهما شبيهان له فى شخصه وفى صورته . ولقد فاتنى أن أذكر لكم فى مستهل حديثى أن حديث سقراط شبيه

بالتماثيل التى توجد فى جوف سيلنيوس . ومن يستمع لسقراط يبدو له من الوهلة الأولى أن كلامه مضحك ، فهو يعبر عن أفكاره بألفاظ وتعابير غريبة كأنه ساتير لعوب ، فتجدونه يذكر حمير السوق والحدادين والإسكافية ، ويبدىء ويعيد أفكاراً معينة بأساليب متشابهة فيضحك الأبله من كلام سقراط . ولكن من ينفذ إلى أعماق كلامه ويستنبط معانيه الدقيقة يجد الحكمة العالية وكأنه يستمع إلى أقوال إلهية . وتتوافر لأحاديثه دلائل الإعجاز فأول ما يجد فيها المستمع أنها وحدها هى التى تشتمل على معان رصينة ، وثانياً أنه لا تجد مثيلا لها فيما تحتويه من صور الفضيلة ، وأنها تتناول كل ما يحرص الرجل على تعلمه فى سبيل تهذيب نفسه وتثقيفها .

هذا ما أردت أن أمدح به سقراط أيها السادة ولقد ضمنت حديثى ما بنفسى من مرارة بسببه وأبنت لكم أنه آلمنى وجرح كبريائى . ويمكننى أن أقول إننى لست الوحيد الذى عانى من سقراط . فقد عانى منه أيضاً خارميدس ابن كلكون وأويشيديموس بن دبوكلس وغيرهما . فهو قد تظاهر أنه يحبهم مع أنه هو المحبوب لا المحب . ولذلك أحذرك يا أجاثون فلا يخدعنك سقراط ، استفد من تجاربى معه ، وحذار ثم حذار، وإلا كنت كالطفل الذى يحرق أصابعه ليدرك مضار النار .

فرغ القبيادس من إلقاء حديثه وأعجب به الحاضرون لصراحته وجرأته ، ولا سيما وهو لا يزال يحب سقراط . وقال سقراط : يلوح أنك صاح يا القبيادس وإلا كنت عجزت عن إخفاء مآربك الحقيقية وراء ألفاظك الخداعة ثم عبرت عنها فى ختام كلامك كأنها فكرة عابرة وكأنك لا تقصد بكلامك أن تثير المتاعب بينى وبين أجاثون . فأنت تريد ألا أحب أحداً غيرك وأن أحداً غيرك لا ينبغى أن يحب أجاثون ، ولكننا قد كشفنا نواياك الحقيقية من وراء اللعب بساتير وسيلنيوس . وأنت يا عزيزى أجاثون لا تدعه يفلح فيما يسعى إليه ويرغب فيه، لا تدع أحداً يفرق بينى وبينك .

أجاب أجاثون : لعلك مصيب يا سقراط ، فها هو قد جلس بيني وبينك ، ولكن سيخيب مسعاه سأنهض وأجلس بجانبك من الناحية الأخرى .

قال سقراط : عزمت عليك أن تسرع بالجلوس بجانبي .

قال إلقبيادس : يا إلهي انظروا كيف يعاملني الرجل ، يريد أن يتغلب على دائماً ، ألا يرضيك أيها الرجل العجيب أن يجلس أجاثون بيننا على الأقل ؟ .

قال سقراط : كلا لقد فرغت من مدحي ، وجاء دوري لأمدح أجاثون جاري من اليمين ، فإذا جلس أجاثون بجانبك كان عليه أن يمدحني بدلا من أن أمدحه أنا فدع الأمور تسير وفق ما أرى يا صديقي الطيب ولا تحرم الفتى حقه في الثناء وخاصة وأنا أميل إلى مدحه .

صاح أجاثون : مرحى ! . مرحى ! . أرأيت أنني لا أستطيع أن أجلس بجوارك ولا بد أن أغير مكاني حتى أحظى بمدح سقراط .

قال القبيادس : هذا شأن سقراط دائماً فحيث يكون لا يسمح لأحد غيره أن يفوز بفتى جميل ، انظروا كيف اهتدى سريعاً إلى عذر يجعل أجاثون يجلس بجانبه .

ثم نهض أجاثون يريد الجلوس بجانب سقراط ، ولكن غشي المجلس في تلك اللحظة جماعة من السكارى . فاشتدت الجلبة ، واختل النظام وانفرط عقد الحاضرين ، وأقبل القوم على الخمر يحتسونها من غير حساب .

ذكر لي أرستديموس أنه عقب دخول السكارى غادر المكان أريكسماخوس وفيدرس وغيرهما ، أما أريستديموس نفسه فقد غلبه النعاس فرقد هزيعاً من الليل وكان طويلا في ذلك الوقت من السنة . وعند الفجر صاحت الديكة فاستيقظ ووجد أن بعض الصحاب غادر البيت ، ووجد البعض الآخر يغط في نوم عميق . ولم يكن صاحياً غير أجاثون وأرستوفانز وسقراط ، وكانوا يشربون الخمر من كأس كبيرة كانت تنتقل من يد إلى يد من اليسار إلى اليمين . وكان سقراط

يبدو أصحاهم . ولم يذكر أرستيديموس حديثهم بدقة إذ كان النومُ لا يزال يملأ عينيه ، ولكن ذكرلى أن مجمل حديثهم هو أن سقراط كان يحاول أن يقنع صاحبيه أن الرجل الذى يستطيع أن يكتب المأساة قادر على وضع الملهاة ، وأن التراجيدى القدير فى إمكانه أن يكون كاتباً ساخراً ، وسلم صاحباه بما يقول ولم يكونا يتتبعانه جيداً . ثم نام أرستوفانز وتبعه أجاثون عند مطلع النهار .

وبعد أن أنام سقراط محاوريه نهض وغادر المكان يتبعه أرستيديموس كعادته ، وذهب إلى الأكيوم (٣٣) واغتسل وأنفق يومه كما اعتاد أن ينفقه ، وعند المساء قفل إلى منزله وأوى إلى فراشه .

تعليقات

١ — كان من عادة اليونان فى ولائمهم أن يتكئ شخصان على وسادة ، والنساء فقط كن يجلسن على كراسى ، ولم يكن مسموحاً لكرائم النساء أن يحضرن وليمة . وكان الطعام يقدم على موائد صغيرة متنقلة ، وكان ضيف الشرف يتكئ أقصى اليسار وإلى يمينه يجلس المضيف . وكان أجاثون — فى مأدبته — جالساً بمفرده أقصى اليسار حتى جاء سقراط وجلس على يمينه . وعند ما جاء القبيادس لم يجد مكاناً نجلس بين سقراط وأجاثون . وترتيب جلوس الثلاثة (أجاثون . القبيادس . سقراط) مهم فى فهم المنظر الأخير من المحاورة .

٢ — المأدبة أو (حفلة الشرب) تختلف عن حفلة العشاء التى سبقتها ، وكان يُتبع فيها أصول مرعية وكانت تشمل عادة وسائل التسلية يؤديها موسيقيون وراقصون محترفون . وكان يبدأ عادة بالشرب ، وكان الشرب يخضع لأوامر الرئيس الذى يقرر مقدار الماء الذى يمزج بالخمر ، والمقدار الذى يسمح باحتسائه من الخمر . وتلك المسألة التى بدأ بها بوزنياس نقاشه . وكان الأكل يختتم عادة باحتساء كؤوس ثلاث وهذا له ما يقابله فى العادات الحديثة وتسمى الأنخاب — وكانت تقدم للإله زيوس سيد الأولب وإلى الأبطال وإلى زيوس المخلص وكان يتبعها ترنيمة تقليدية .

٣ — نجد أن المعلمين المحترفين أو السفسطائيين قد ظهروا فى اليونان ابتداء من سنة ٤٥٠ق . م، وكان السفسطائى محاضراً جوالاً ينتقل من مدينة إلى مدينة ويعلم الشباب اليونانى الطموح بأجر العلوم التى تؤهله للمراكز العالية كالخطابة والآداب والأخلاق، وكان من بين هذه الطبقة بعض الذين لمعت أسماؤهم مثل برتاجوراس وجورجياس اللذين كانا يتقاضيان أجوراً مرتفعة ومبالغ كبيرة من المال ، وكان لهما أتباع كثيرون وكثيراً ما زج اسم سقراط بين السفسطائيين مع

أنه لم يحترف التعليم ولم يتناول أجراً . ولكن اليونانى العادى كان ينظر إليه باعتباره سفسطائيًّا ، وكان أن عمل أفلاطون على تصحيح هذا الخطأ الشائع عن سقراط فكان كثيراً ما يظهر التعارض الشديد بين الفيلسوف الذى يهدف إلى معرفة الحقيقة واكتساب الفضيلة وبين السفسطائى الذى يعلم ليحقق لتلاميذه النجاح فى الحياة وحسب ومع أنه قد يكون شاكًّا مرتابًا فيما يتعلق بالحقيقة وبالفضيلة . ويرسم أفلاطون فى محاورته ؛ بروتاجوراس « صوراً ساخرة لعدد من السفسطائيين من بينهم بروديكوس وكيوس . ويشبعهم نقداً مرًّا فى محاورته « جورجواس » وفى الكتاب الأول من « الجمهورية » .

٤ — أكوزيليوس الأرجوس صاحب كتاب منثور عنوانه : « التكوينات » عن نشأة وأصل الآلهة والبشر وهو شبيه بمؤلف هزيود المسمى : أصل الآلهة .

٥ — بارمنيدس هو الفيلسوف اليونانى مؤسس المدرسة الإيلية ، وكان يعتمد على المنطق المحض وبذلك أنكر إمكان التغير والكثرة فالوجود عنده واحد وثابت . والجملة التى اقتبسها أفلاطون مأخوذة من الشذرات الباقية من شعره ، والنص مفقود ويتضح من شذراته أنه أقام مذهبًا كونيًّا يختلف قليلا أو كثيراً عن التقاليد على الرغم من معتقداته .

٦ — من المحتمل أنه توجد إشارة هنا إلى « الجماعة المقدسة » التى نشأت فى طيبة وقد نظمت على هذا المبدأ ، وأول إشارة إليها وردت فى حكم أيبا مينوداس فى لكترا سنة ٣٧١ ق . م ولعلها كانت موجودة قبل ذلك التاريخ .

٧ — أدمينوس ، وهو ملك فيرا فى تساليا ، أخبره أبولو أنه لا بد أن يموت ما لم يقر أحد بالموت مكانه ، وأقدمت زوجه السيتيس على ذلك بالرغم من رفض والديه أن يفعلا . وقد أنقذها هيرقل من هيدذ ، وقصتها موضوع مسرحية يوربيدز : « السيتيس » .

٨ — أورفيوس هو مغن وموسيقى أسطورى ظهر فى تراقيا ، وتقول كل

الأساطير عنه إنه أفلح فى استخلاص زوجته يورويس من هيدز، ومن ثم مزقته عابدات يونزيوس إربًا إربًا فى ثورة من ثورات انفعالاتهن الدينية . والنص الذى أورده أفلاطون يصور نزول أورفيوس حيًا إلى هيدز على أنه عمل من أعمال الجبن فكان موته عقابًا له على ذلك وعلى احتقاره لديونزيوس وهذا ما لم يعرف عن أورفيوس ، ولعله من وضع أفلاطون .

٩ ــ جزر السعداء قد اختصها هوميروس لعدد من الأبطال الذين لم يشاركوا غيرهم المصير التافه فى العالم السفلى . وقد تصورها اليونان على أنها أماكن حقيقية على سطح الأرض فى المحيط الغربى ، وقد وصف هزيود الحياة على تلك الجزر فى « الأعمال والأيام » ولم يضع هزيود أخيل فى تلك الجزر ولكن بعض الكتاب الأولين أرسلوه إليها .

ويقول انتيسون فى « أوليس » .

لعلنا نلمس الجزر السعيدة .

وترى أخيل العظيم الذى نعرفه .

١٠ ــ المعنى المقصود أن الحب الذى يتملكه إله لا يستحق التقدير على أعمال البطولة كما يستحقها المحبوب لأن الإله يسهل له القيام بها .

١١ ــ إن التفرقة التى يقيمها أفلاطون بين أفروديتين وردت فى مأدبة أكسنيوفون حيث يرى سقراط أنهما قد تكونان متشابهتين ، وأنهما أفروديت واحدة مع أن لهما اسمين مختلفين ومعابد مختلفة ، أما وجود معابد مختلفة فقد أيد هذا الرحالة بوزانياس فى القرن الثانى ، ومهما يكن فإن ما يقيمه أفلاطون على اختلاف طبيعتهما هو من عندياته .

١٢ ــ تقول الأساطير إن أفروديت خرجت من البحر حيث ألقى بأعضاء أبيها أورانوس بعد أن مزقه ابنه كرونوس إربًا إربًا .

١٣ ــ تنتمى كل من إيليس وبوتيا وأسبرطة إلى الفرع الدورانى من الجنس الإغريقى ، وقد شاع بينها اللواط نتيجة للحياة العسكرية والخلوية التى فرضت على رجالها ، واشتهرت بوتيديا بغباء أهليها .

١٤ — تآمر الحبيبان هرموديوس وأرريستوجبتون ٥١٤ ق . م على قتل هبياس وهبراخوس ابنى طاغية أثينا السابق بسيستاروس ، وقد كشف أمر المؤامرة ولاذ هبياس بالفرار ولكنه فقد سلطته بعد ذلك . ومع أن الباعث على المؤامرة كان الرغبة فى الانتقام لما لحق بهما من هوان فقد اشتهر هرموديوس وأريستوجيتون فيما بعد على أنهما من قتلة الطغاة ، وعاشا فى ذاكرة الشعب باعتبارهما شهيدين من شهداء الحرية .

١٥ — إن العقيدة « أن الصحة هى فى توازن أخلاط الجسم » عقيدة شائعة فى الطب القديم ، ويمكن إرجاعها إلى الكميون الكرتونى وهو تلميذ لفيثاغورس ، وظلت سائدة فى الطب حتّى العصور الوسطى عند ما ظهرت باسم نظرية الأخلاط الأربعة . عند ما يتكلم أريكسماخوس عن أيسكلبيوس باعتباره « الجد الأول » فهو يتكلم باعتباره عضواً فى جماعة من جماعات الطب كانت تسمى : أبناء أيسكلبيوس على أنه إله الطب وراعيه .

١٦ — إن الوحدة التى يكون مابينها من اتفاق بفضل ما يكون ما بينها من اختلاف هى إشارة إلى مذهب هرقليطس الذى يذهب إلى أن الوجود يكون بتلاقى الأضداد وتنازعها . وقد أخطأ أريكسماخوس فى فهم نظرية هرقليطس بنقده فهرقليطس يؤكد أن الأضداد توجد معاً بالضرورة وأن بعضها يتطلب البعض الآخر ، ومع ذلك فهما شىء واحد . وما دام أفلاطون يظهر فى موضع آخر فهمه الصحيح لنظرية هرقليطس فلا بد أن يكون قصده هنا أن يسخر من أريكسماخوس بجعله مرتكباً لخطأ كبير فى الفهم .

١٧ — أفيلتس وأتوس جباران حاولا الصعود إلى السماء بوضع جبال بيلون وأوسا والأولمب بعضها فوق بعض وقد قتلهما أبولو .

١٨ — من المؤكد أن الإشا ة هنا إلى العقاب الذى أنزله أهل أسبرطة ، بمدينة منتينا وهى من مدن أكاديا سنة ٣٨٥ ق . م فقد دمرت المدينة وأرغم السكان على سكنى أربع قرى منفصلة وذكر تلك الحادثة فى حوار زعم أنه حدث

سنة ٤١٦ ق . م يدل على استباق الزمن ، ولكن يساعد على تقدير زمن تأليف المأدبة .

١٩ – يصف هزيود فى « أصل الآلهة » هذه الحوادث تمزيق كرنوس لأبيه أورانوس . وسجن السيكلوب والجبابرة المائة المسلحين ، وابتلاع كرونوس لأطفاله ، والحرب بين زيوس والتيتان . ولم تشر شذرات بارمنيدس إلى تلك الحوادث ، وقد شك الباحثون فى ذكر اسمه فى هذا السباق .

٢٠ – الإشارة إلى « الأودسا » وقد ذكر أفلاطون راس جورجون من قبيل التلاعب – بالألفاظ وإن كان ذكره ملائماً للسياق ما دام من شأنها أن تحيل الناظر إليها إلى حجر ، وأسلوب أجاثون المصطنع يدل على أنه خضع فى حديثه للأصول البلاغية التى وضعها جورجياس وخاصة استعماله الجمل القصيرة المتقابلة فى خاتمة حديثه .

٢١ – يشير أفلاطون إلى بيت ليوربيلز فى (هيبوليتوش) « وقد وعد لسانى أما عقلى فلم يعد بشىء » وقد ذهبت مثلا ، وقد استغله أرستوفانز ضد بوربيلز فى مسرحيته : « الضفادع » – وكان لذلك تأثير كبير .

٢٢ – كودروس هو ملك أسطورى لأتيكا وقد صدق نبوءة وضحى بحياته لينقذ بلاده من غزو الدوربيين .

٢٣ – ليكروجوس هو الذى عزت إليه الأجيال المتأخرة وضع نظام أسبرطة الدستورى والحربى فى القرن التاسع قبل الميلاد ، وإن كان شك فى وجوده التاريخى . والإشارة إلى ما فعله فى سبيل إنقاذ اليونان ترجع إلى الدور الذى لعبته أسبرطة فى الحروب ضد فارس .

٢٤ – صولون شخصية تاريخية لا شك فى وجودها وإن حيكت حوله الأساطير ، وقد انتخب للقيام بإصلاح دستورى فى أثينا فى مستهل القرن السادس قبل الميلاد ، وقامت الديمقراطية الأثينية على مبادئه .

٢٤ – إن سيلنيوس الذى كثيراً ما يقرن به سقراط للشبه بينهما هو رفيق

ديوزيوس ، وتمثله الأساطير والتماثيل فى صورة عجوز فان محطم ذى أنف فطس مفلطح يركب حماراً . وقد اعتبر سيلنيوس نبيًّا ملهمًا بالرغم من مظهره وعاداته الشاذة ؛ فهو إذن مثال صادق للحكمة التى تختفى خلف المظاهر الغليظة .

٢٥ ــ ويرتبط الساتير بديونزيوس أيضًا وهى مخلوقات شبيهة بالماعز انغمست فى حياة حسية بهيمية ، ومارسياس واحد منها قد عزى إليه اختراع الفلوت كما عزى اختراعها إلى سيلنيوس وولمبوس ، ويقال إن مارسياس تحدى أبولو فى عزف الفلوت ولما هزم قُلى حيًّا .

٢٦ ــ استطاع أوديسوس أن يبحر مبتعداً عن جزر السيرينات اللواتى كن يقتلن الناس بعد أن يسحرنهم بأغانيهن وبالرغم من محاولة السيرينات الإيقاع بأوديسوس فقد أفلح فى النجاة من شرهن .

٢٧ ــ كانت بوتيديا تدفع الجزية لأثينا ورفضت أن تقطع علاقاتها بكورنث التى ترتبط بها وكان ذلك من الأسباب المباشرة للحرب البيلوبونزية .

وقد دام حصار أثينا لتلك المدينة أكثر من عامين (٤٣٢ ــ ٤٣٠ ق . م) وانتهى ــ الحصار باستسلامها .

٢٨ ــ إن المعركة التى ظهرت فيها بطولة القبيادس هى معركة بوتيديا سنة ٤٣٢ ق . م قبل الزحف مباشرة .

٢٩ ــ حدثت موقعة ديليوم سنة ٤١٤ (ق . م) فقد احتل الأثينيون المدينة وحصونها مقدمة للهجوم على بوتيديا ، ولكن عند انسحابهم هزمهم الجيش الطيبى بقيادة باجونداس هزيمة منكرة .

٣٠ ــ جاء هذا الوصف فى مسرحية أرستوفانز : « السحاب » التى اختص بها سقراط :

٣١ ــ براسيداس هو أكفأ وأنجح قواد أسبرطة فى المرحلة الأولى من الحرب

البيلوبونزية قتل فى أمفيبوليس سنة ٤٣٣ ق . م .

٣٢ – نستور هو أعظم خطباء الإغريق وانتينور هو أعظم خطباء طروادة كما جاء فى الإلياذة .

٣٣ – اللاكيوم هو ملعب كان سقراط يرتاده كثيراً ، وقد اتخذ منه أرسطو فيما بعد مدرسة يعلم فيها واشتهرت مدرسته بهذا الاسم .

تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب والوثائق القومية
تحت رقم ١٩٧٠/٤٨٩٢

مطابع دار المعارف بمصر
سنة ١٩٧٠

المأدبة

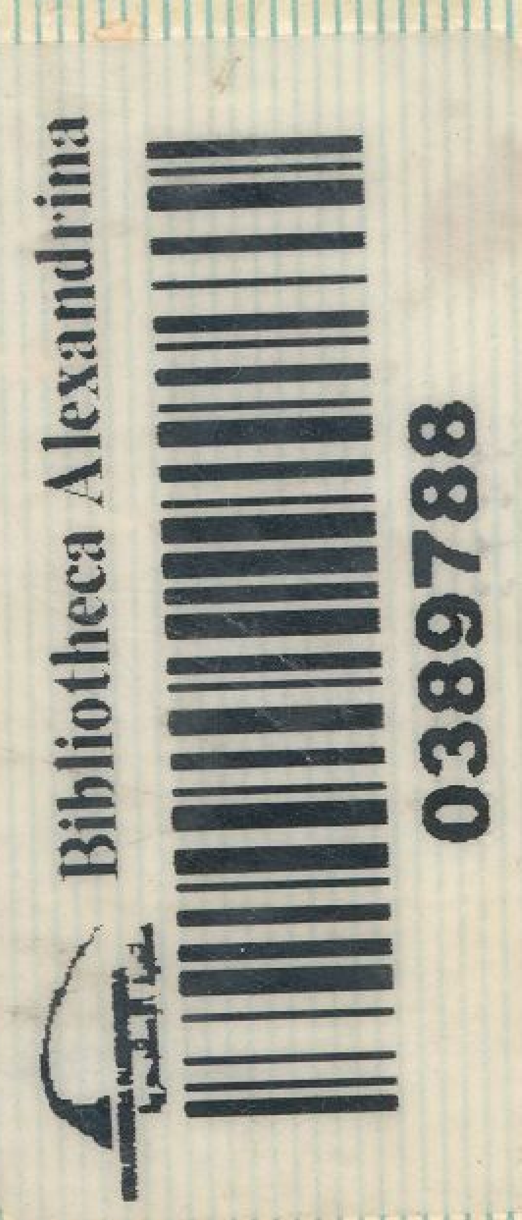
المأدبة هى المحاورة الأفلاطونية التى تشتمل على أفانين شتى من الفن والأدب والفلسفة ، وهى – مع ذلك – أقل المحاورات صعوبة من الناحية الفلسفية ، فأفلاطون « الفيلسوف » لم يتغلب فيها على أفلاطون الشاعر . وقد وضع أفلاطون محاورته هذه حوالى عام ٣٨٥ ق. م. أما المأدبة التى تصفها فكانت سنة ٤١٦ ق. م. ولايشك أحد فى أن الأحاديث التى دارت فى المأدبة هى من تأليف أفلاطون ، ولكنه يخلع عليها طابع الواقع كأنها حدث تاريخى ، ولاسيا أن أشخاصها ورواتها أشخاص تاريخيون لا يشك أحد فى وجودهم ، وأن ماوقع فى المأدبة ليس بغريب وقوعه بين أفراد الطبقة الراقية فى أثينا سنة ٤١٦ ق. م.

والمحور الذى تدور حوله المحاورة هو ناحية من نواحى مذهب سقراط فى الحب ، ونظرية أفلاطون فى الحب . والحب الذى تتحدث عنه المحاورة يتنافى مع أخلاق عصرنا تمام المنافاة ، ويطلق عليه « الجنسية المثلية » ، وهى ظاهرة تفشت فى أثينا بسبب انزواء المرأة فى البيت ، وعدم الاختلاط بين الفتية والفتيات ، ولأن الحب الرومانتيكى لم يكن له وجود عند اليونان . .

مكتبة الدراسات الفلسفية

● صدر منها :

١ – تاريخ الفلسفة الأوربية فى العصر الوسيط
٢ – تاريخ الفلسفة الحديثة
٣ – العقل والوجود
٤ – الطبيعة وما بعد الطبيعة
٥ – أصول الرياضيات (٤ أجزاء)
٦ – القرآن والفلسفة
٧ – نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام (جزءان)
٨ – مناهج البحث عند مفكرى الإسلام
٩ – بين الدين والفلسفة عند ابن رشد
١٠ – المذهب فى فلسفة برجسون
١١ – الإدراك الحسى عند ابن سينا
١٢ – المنطق
١٣ – مراحل الفكر الأخلاقى
١٤ – تمهيد لتاريخ مدرسة الإسكندرية
١٥ – سورين كيركجورد : أبو الوجودية
١٦ – من الكائن إلى الشخص
١٧ – بين برجسون وسارتر : أزمة الحرية
١٨ – الفرد فى فلسفة شوبنهور
١٩ – ألبير كامى ، محاولة لدراسة فكره الفلسفى
٢٠ – الحقيقة عند الغزالى
٢١ – حكمة الصين (جزءان)
٢٢ – النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد
٢٣ – الشخصانية الإسلامية
٢٤ – فايدروس أو عن الجمال
٢٥ – الفلسفة الأخلاقية فى الفكر الإسلامى
٢٦ – المنهج الجدلى عند هيجل
٢٧ – المأدبة (فلسفة الحب)



ص
٢٥